مؤسسة العلم والتأصيل

القواعد والأصول وتطبيقات التدبر

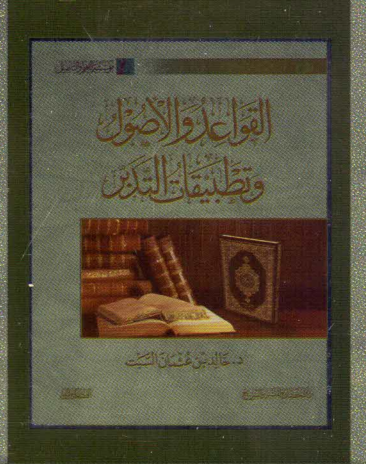


د. خالد بن عثمان السبت

الطبعة الأولى

الحضارة للنشر والتوزيع





فهذه جُملة من الأصول والقواعد والضوابط وطرق الدلالة المُتنوِّعة، وما له نوع اتصال بذلك مما يُتَوصَّل به إلى استخراج المعاني والهدايات من القرآن الكريم، مقرونة بتطبيقاتها وأمثلتها التي توضحها وتجليها، إلى غير ذلك مما تجده مسطورًا في هذا الكتاب.

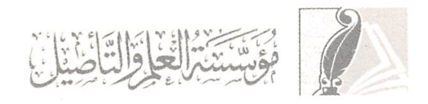
قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «ومن أصول التفسير: إذا فَهِمْت ما دلت عليه الآيات الكريمة من المعاني مُطَابَقَة وتَضَمُّنا، فاعلم أن لوازم هذه المعاني، وما لا تتم إلا به، وشروطها وتوابعها، تابعة لذلك المعنى، فما لا يتم الخبر إلا به، فهو تابع للخبر، وما لا يتم الحكم إلا به، فهو تابع للحكم، وأن الآيات التي يُفْهَم منها التَّعارُض والتناقُض، ليس فيها تَنَاقُض ولا تَعارُض، بل يجب حَمْل كل منها على الحالة المُنَاسِبَة اللائقة بها. وأن حَذْف المُتَعَلَّقَات، من مَفْعُولاتٍ وغيرها، يدل على تعميم المعنى، لأن هذا من أعظم فوائد الحذف، وأنه لا يجوز حذف ما لا يدل عليه السياق اللفظي، والقرينة الحالية» اهـ.

للتواصل مع الدار: ص. ب: ١٠٢٨٢٢ الرياض ١١٦٨٥
فاكس: ٢٧٠٢٧١٩ - المبيعات والتوزيع: ٢٤١٦١٣٩ - فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨
المنطقة الغربية: جوال: ٠٥٠٧٧٧٠٤٢١
البريد الإلكتروني daralhadarah@hotmail.com
موقعنا الإلكتروني www.daralhadarah.com.sa
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨









القواعد والأصول وتطبيقات التدبر

د. خالد بن عثمان السبت



مركز تدبر للدراسات والاستشارات

القواعد والأصول وتطبيقات التدبر

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

الرياض - الدائري الشرقي - مخرج ١٥

هاتف ٢٥٤٩٩٩٣ ٠١١ - تحويلة ٣٣٣

ناسوخ ٢٥٤٩٩٩٦ ٠١١

ص.ب.٩٣٤٠٤ الرمز: ١١٦٨٤

البريد الحاسوبي: tadabbor@tadabbor.com

www.tadabbor.com

....

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السبت، خالد عثمان

القواعد والأصول وتطبيقات التدبر. / خالد عثمان السبت، الرياض، ١٤٣٧هـ

٩٦ ص؛ ١٧ × ٢٢ سم

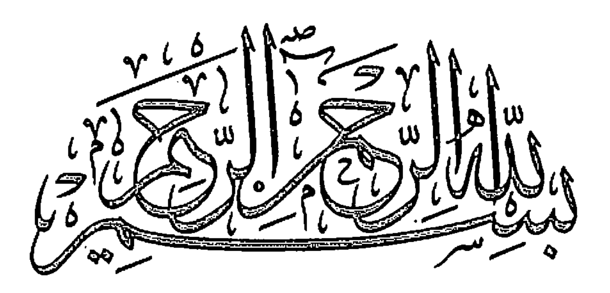
ردمك: ٥-٩٦١٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - مباحث عامة ٢- القرآن - أحكام أ. العنوان

ديوي ٢٢٩ ١٦١ / ١٤٣٧

رقم الإيداع: ١٦١ / ١٤٣٧

ردمك: ٥-٩٦١٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه جُملة من الأُصول والقواعد والضوابط وطرق الدلالة المُنوعة، وما له نوع اتصال بذلك مما يُتَوَصَّل به إلى استخراج المعاني والهدايات من القرآن الكريم، مقرونة بتطبيقاتها وأمثلتها التي توضحها وتجليها، إلى غير ذلك مما تجده مسطورًا في هذا الكتاب.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي ﷺ: «ومن أصول التفسير: إذا فَهِمْت ما دلت عليه الآيات الكريمة من المعاني مُطابَقَة وتَضَمُّنًا، فاعلم أن لوازم هذه المعاني، وما لا تتم إلا به، وشروطَها وتوابعَها؛ تابعةٌ لذلك المعنى؛ فما لا يتم الخبر إلا به فهو تابع للخبر، وما لا يتم الحكم إلا به فهو تابع للحكم. وأن الآيات التي يُفْهَم منها التَّعَارُض والتناقُض، ليس فيها تَنَاقُضٌ ولا تَعَارُض، بل يجب حَمْل كل منها على الحالة المُنَاسِبة اللائقة بها. وأن حَذْف المُتَعَلَّقَات -من مَفْعُولاتٍ وغيرها- يدل على تعميم المعنى؛ لأن هذا من أعظم فوائد الحذف. وأنه لا يجوز حذف ما لا يدل عليه السياق اللفظي، والقرينة الحالية» اهـ[1].

وقبل الشروع في المقصود، فإني أضع بين يدي القارئ الكريم بعض الجوانب التي ينبغي اعتبارها؛ فمن ذلك:

---

١) تفسير السعدي (٩٤١).

أولًا: لم أتعرض لمعنى التدبر وبعض المقدمات المتعلقة به اكتفاء بما ذكرته في الكتاب الآخر الموسوم بـ (الخلاصة في تدبر القرآن) الذي يختص بالجوانب النظرية المتصلة بموضوع التدبر.

ثانيًا: ينبغي أن نعلم أن التدبر لا يخضع لقواعد محددة، لكن إذا كان المُتَدَبِّر مُتَحَقِّقًا بالعلوم التي يُسْتَخْرَج بواسطتها أنواع المعاني والحِكَم والأحكام؛ فإن ذلك يكون أدعى إلى نَظَرٍ أَسَدّ، وتَدَبُّرٍ أَدَقّ، وغَوْصٍ أعمق عند قراءة القرآن الكريم.

ثالثًا: تتنوع مطالب المتدبرين من تدبرهم للقرآن الكريم[1]؛ فمنهم من يقرؤه ليُرَقِّق قلبه، ويقرؤه آخر للوقوف على مواعظه ومواطن العِبَر فيه، ويقرؤه ثالث ليتعرف على مَحَابِّ الله ومَسَاخِطِه، وأوصاف أوليائه، وسِمَات أعدائه، وربما قرأه لمعرفة ربه ومولاه بأسمائه وصفاته ودلائل قدرته وعظمته، أو يقرأ لاستخراج هداياته المتنوعة من الحِكَم والأحكام والآداب وغيرها؛ فإن ذلك لا يُتَوَصَّل إليه إلا بالتدبر، ولا يصح الفصل بين هذه المطالب وبين التدبر بحال.

ولا يخفى أن هذه المطالبَ متفاوتة فيما يتوقف حصولها عليه؛ فمنها ما يفتقر إلى آلة يتمكن معها المُتَدَبِّر من استخراج المعاني والهدايات الدقيقة المبنية على أُسُس وقواعد صحيحة في الاستدلال.

ومن هنا جاءت الإشارة إلى هذه الجملة من طُرق الدلالة والقواعد التي تضبط الفهم.

---

١) في الكتاب الآخر (الخلاصة في تدبر القرآن الكريم) جملة من هذه المطالب، فيمكن مراجعتها.

رابعًا: إنما أردت في هذا الكتاب إيراد قدر صالح من طُرق الدلالة وما من شأنه أن يُوصِل إلى المطلوب من المعاني ونحوها؛ ليتعرف به القارئ الكريم على هذه الأصول والقواعد وطُرق الدلالة من جهة، ومن جهةٍ أخرى يربط بين ذلك وبين الجانب التطبيقي؛ ليكون ذلك أوعى وأبين وأرسخ في الفهم.

ولم يكن المقصود الاستيعاب والاستقراء للأصول النظرية، ولا النماذج التطبيقية؛ فذلك مما يفوت الحصر، ولكن أردت ذِكْر طَرَف منها يحصل به المقصود، ويتضح به المراد، ويدل على غيره، فيتتبعه طالب العلم في مَظَانِّه.

خامسًا: انتقيتُ النماذج التطبيقية مما كنتُ أجمعه عند قراءتي في كتب التفسير وغيرها؛ إذ كنتُ أُدَوِّن ما أستحسنه من اللطائف واللفتات الدقيقة المُستخرجة بثاقب النظر والفِكْر مما جَادَتْ به قَرَائح العلماء وفُهومهم، كما قرأت المجموعات الخمس[1] التي صدرت عن (مركز تدبر للدراسات والاستشارات) تحت عنوان (ليدبروا آياته)، وانتقيت بعض الأمثلة منها، فأوردتُّ في هذا الكتاب من هذا وذاك أحسن ما جمعتُ.

سادسًا: رتبتُ الكتاب على طريقة مُتَسَلْسِلة بالنظر إلى الطُّرق التي يُتَوَصَّل بها إلى المُراد من ألوان الدلالات.

وهناك بعض النماذج والأمثلة لا تخضع لشيء من الطُرق والأنواع، فألحقتُها في آخر الكتاب وجعلتُها تحت عنوان يُوَضِّح ذلك.

---

١) وقد صدر منها الآن ثمان مجموعات.

ومما يدخل في هذا النوع ما يُسمَّى بـ (التفسير الإشاري).

وهذا النوع من التفسير إنما يُقال له: (تفسير)، على سبيل التَّجَوُّز، وإلا فإنه لا يدخل تحت التفسير، كما أن عامة ما يُذكر فيه لا يصح.

وقد أفردتُ له عنوانًا في آخر الكتاب وأَوردتُ فيه نماذج صالحة مُسْتَحْسَنة مما ذكره العلماء الثقات: كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والحافظ ابن كثير، والشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي؛ رحمهم الله، سواء صَرَّحُوا فيه بأنه من قبيل الإشارة، أو لم يُصَرِّحوا بذلك، لكنه داخل تحته.

كما أوردتُ في آخر الكتاب ما يتصل بالتطبيق والعمل والامتثال؛ لكون ذلك يتصل بالتدبر من جهة أن بعض السلف قد فسَّر التدبر بالعمل به؛ كما أوضحنا ذلك في كتاب (الخلاصة في تدبر القرآن). ولا شك أن من مطالب المتدبرين: العمل والامتثال.

هذا بالإضافة إلى الربط بين تدبُّر الآيات المتلوة، والتفكر في الآيات المشهودة، وقد صار ذلك مُتاحًا لكل أحد بصورة أعمق في هذا الوقت؛ نظرًا لما توفر من الوسائل الحديثة التي يمكن لعموم الناس مشاهدة ذلك من خلالها.

وفي هذا الكتاب أَوْرَدتُ نماذج من هذا النوع؛ لتدل على غيرها.

قال ابن القيم ﷺ: «والتفكر في القرآن نوعان: تفكر فيه ليقع على مُراد الرب تعالى منه، وتَفَكُّر في معاني ما دعا عباده الى التَّفَكُّر فيه؛ فالأول: تَفَكُّر في الدليل القرآني، والثاني: تَفَكُّر في الدليل العياني؛ الأول: تفكُّر في آياته المسموعة، والثاني: تفكُّر في آياته المشهودة؛ ولهذا أنزل الله القرآن ليُتدبَّر، ويُتفكَّر فيه، ويُعمَل به»اهـ[1].

---

١) مفتاح دار السعادة (١/٥٣٦-٥٣٧).

وحاصل ذلك جاء مستوفى في ستة أبواب ومقدمة وخاتمة؛ وإليك مجملها:

الباب الأول: النظر الكلي الإجمالي لآيات السورة؛ وذلك يشمل:

١- تدبر الآيات إجمالاً للتوصل إلى الموضوع أو الموضوعات التي تدور حولها الآيات في السورة.

٢- تدبر الآيات إجمالًا للتوصل إلى مقاصد السورة.

٣-تدبر المعنى العام للآية للتوصل إلى المعنى الأساسي الذي نزلت لتقريره.

الباب الثاني: في المعاني والهدايات المستخرجة وفق القواعد والأصول المعتبرة:

فمن ذلك:

أولًا: إعمال أنواع الدلالة في استخراج الهدايات من الآيات الكريمة؛ وذلك نوعان:

النوع الأول: دلالة المنطوق؛ وهو قسمان:

١- المنطوق الصريح؛ وهو نوعان:

١) دلالة المطابقة.

٢) دلالة التَّضَمُّن.

٢- المنطوق غير الصريح (دلالة الالتزام)؛ ويدخل تحتها ثلاثة أنواع:

الأول: دلالة الاقتضاء.

الثاني: دلالة الإشارة؛ وله صورتان:

الثالث: دلالة الإيماء والتنبيه.

النوع الثاني: دلالة المفهوم؛ وهو قسمان:

١- مفهوم الموافقة.

٢- مفهوم المخالفة.

ثانيًا: العموم والخصوص.

ثالثًا: الإطلاق والتقييد.

رابعًا: ما يُسْتَفَاد من بعض القواعد في التفسير.

خامسًا: القواعد القرآنية.

الباب الثالث: النظر والتدبر في المناسبات.

الباب الرابع: ما يتوصل إليه بالنظر إلى النواحي اللغوية والجوانب البلاغية:

فمن ذلك:

١- الحقيقة والمجاز (عند القائل به).

٢- ما يتصل بمرجع الضمير.

٣- ما يُؤْخَذ من الإظهار في موضع الإضمار، وعكسه.

٤- الالتفات.

٥- الفروق اللفظية.

٦-المتشابه اللفظي.

٧-دلالات الجملة (الاسمية والفعلية).

٨-ما يرجع إلى تصريف اللفظ.

٩- ما يرجع إلى معاني الحروف، ودلالاتها، والتضمين.

١٠- التقدير والحذف والزيادة، والتكرار، والتقديم والتأخير والترتيب بين الأمور المذكورة في الآية.

١١- الإيجاز والبسط والاستطراد.

١٢- الأمثال والتشبيهات.

الباب الخامس: ما لا يدخل في شيء مما سبق؛ وهو نوعان:

الأول: صور من التدبر لا تخضع لشيء مما سبق.

الثاني: التفسير الإشاري.

الباب السادس: التدبر العَمَلي؛ وهو نوعان:

الأول: التطبيق والعمل والامتثال.

الثاني: النظر في الكون والآيات المشهودة.

الخاتمة.

سابعًا: تجد في هذا الكتاب تخريج الأحاديث تخريجًا موجزًا، فما أخرجه الشيخان أو أحدهما اكتفيتُ به، وإن لم يكن فيهما فأكتفي بتخريجه من بقية الكتب الستة، فإن لم يكن في شيء منها فمن بقية الكتب التسعة، فإن لم يكن في شيء منها خَرَّجْتُه من غيرها.

كما عَرَّفْتُ بالمصطلحات العلمية التي يحتاج القارئ إلى معرفة المراد بها، وترجمتُ لغير المشاهير من الأعلام ترجمةً مُوجَزَة.

وألحقت بالكتاب فهرسًا للمصادر، وآخر للموضوعات.

وقد أسميتُه بـ (القواعد والأصول وتطبيقات التدبر).

هذا، وأسأل الله تعالى أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله ذخرًا لي يوم أن ألقاه؛ إنه سميع مجيب.

وكتبه: خالد بن عثمان السبت

١٤٣٦/٠٩/٠٥هـ

Khaled2224@gmail.com

الباب الأول

النظر الكلي -الإجمالي- في آيات السورة[1]

١) تُعدُّ المطالب الداخلة تحت هذا الباب من الأمور المهمَّة في التدبُّر.

١- تدبر الآيات إجمالًا للتوصل إلى الموضوع أو الموضوعات التي تدور حولها الآيات في السورة[١].

التطبيق:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد ذكرتُ في مواضع ما اشتملت عليه (سورة البقرة) من تقرير أصول العلم وقواعد الدين: أن الله تعالى افتتحها بذِكْر كتابه الهادي للمتقين، فوَصَفَ حال أهل الهدى، ثم الكافرين، ثم المنافقين؛ فهذه (جمل خبرية). ثم ذكر (الجمل الطلبية)، فدعا الناس إلى عبادته وَحْده، ثم ذكر الدلائل على ذلك من فَرْش الأرض، وبناء السماء، وإنزال الماء، وإخراج الثمار رِزْقًا للعباد، ثم قَرَّر الرسالة، وذَكَر الوعد والوعيد، ثم ذَكَر مَبْدَأ النبوة والهدى، وما بَثَّه في العالَم من الخلق والأمر، ثم ذَكَر تعليم آدم الأسماء، وإسجاد الملائكة له لِمَا شَرَّفه من العلم؛ فإن هذا تقرير لجِنْس ما بُعِث به محمد ﷺ من الهدى ودين الحق، فَقَصّ جِنْس دعوة الأنبياء.

ثم انتقل إلى خطاب بني إسرائيل وقصة موسى معهم، وضَمَّن ذلك تقرير نبوته؛ إذ هو قرين محمد ﷺ، فذكر آدم الذي هو أول، وموسى الذي هو نَظِيره، وهما اللذان احتجا، وموسى قَتَل نفسًا فغُفِر له، وآدم أَكَل من الشجرة فتاب عليه، وكان في قصة موسى رَدٌّ على الصابئة ونحوهم ممن يُقِرّ بجنس النبوات، ولا يُوجِب اتّباع

١) موضوعات السورة: هي القضايا التي تناولتها السورة من القصص والأخبار والوقائع، أو الأحكام، أو الأوصاف، أو الوعد والوعيد... إلى غير ذلك. والسورة قد تكون ذات موضوع واحد؛ كسورة الإخلاص، وقد تكون ذات موضوعات متعددة؛ كسورة البقرة وآل عمران، وغيرهما كثير.

ما جاؤوا به، وقد يتأوَّلون أخبار الأنبياء، وفيها ردٌّ على أهل الكتاب بما تَضَمَّنه ذلك من الأمر بالإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وتقرير نبوته، وذِكْر حال من عَدَل عن النبوة إلى السِّحْر، وذِكْر النَّسْخ الذي ينكره بعضهم، وذِكْر النصارى، وأن الأُمَّتَين لن يرضوا عنه حتى يَتَّبِع مِلَّتهم؛ كل هذا في تقرير أصول الدين؛ من الوحدانية والرسالة.

ثم أخذ سبحانه في بيان شرائع الإسلام التي على مِلَّة إبراهيم، فَذَكر إبراهيم الذي هو إمام، وبناء البيت الذي بتعظيمه يَتَمَيَّز أهل الإسلام عما سواهم، وذَكَر استقباله، وقَرَّر ذلك؛ فإنه شعار المِلَّة بين أهلها وغيرهم؛ ولهذا يُقَال: أهل القبلة، كما يُقال: «**مَن صلَّى صلاتنا، واستقبل قِبْلتنا، وأكل ذبيحتنا؛ فهو المُسْلِم**»[1]. وذَكَر من المناسك ما يختص بالمكان؛ وذلك أن الحج له مكان وزمان، والعمرة لها مكان فقط، والعكوف والركوع والسجود شُرِع فيه ولا يتقيد به ولا بمكان ولا بزمان، لكن الصلاة تتقيد باستقباله، فذكر سبحانه هذه الأنواع الخمسة: من العكوف، والصلاة، والطواف، والعمرة، والحج؛ والطواف يختص بالمكان فقط، ثم أتبع ذلك ما يتعلق بالبيت، من الطواف بالجبلين، وأنه لا جُنَاح فيه؛ جوابًا لما كان عليه الأنصار في الجاهلية من كراهة الطواف بهما لأجل إهلالهم لمَنَاة، وجوابًا لقوم تَوَقَّفُوا عن الطواف بهما. وجاء ذكر الطواف بعد العبادات المُتَعَلِّقة بالبيت -بل وبالقلوب والأبدان والأموال- بعد ما أُمِرُوا به من الاستعانة بالصبر والصلاة اللَّذَين لا يقوم الدين إلا بهما، وكان ذلك مفتاح الجهاد المؤسس على الصبر؛ لأن ذلك من تمام أمر البيت؛ لأن أهل المِلَل لا يُخَالِفُون فيه، فلا يقوم أمر البيت إلا بالجهاد عنه.

---

١) أخرجه البخاري (٣٩١) من حديث أنس ﷺ.

وذكر الصبر على المشروع والمقدور، وبيَّن ما أنعم به على هذه الأمة من البشرى للصابرين؛ فإنها أُعْطِيَت ما لم تُعْطَ الأممُ قبلها، فكان ذلك من خصائصها وشعائرها؛ كالعبادات المُتَعَلِّقة بالبيت؛ ولهذا يَقْرِن بين الحج والجهاد؛ لدخول كل منهما في سبيل الله؛ فأما الجهاد فهو أعظم سبيل الله بالنص والإجماع، وكذلك الحج في الأصح؛ كما قال: «الحج من سبيل الله»[1]. وبيَّن أن هذا معروف عند أهل الكتاب، بِذَمِّه لكاتِم العلم.

ثم ذكر أنه لا يقبل دينًا غير ذلك؛ ففي أولها: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (البقرة)، وفي أثنائها: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ (البقرة: ١٦٥)، فالأول نهي عام، والثاني نهي خاص، وذَكَرَها بعد البيت ليُنْتَهَى عن قَصْد الأنداد المُضَاهِيَة له، ولِبَنْيَتِه من الأصنام والمقابر ونحو ذلك، ووَحَّد نَفْسه قبل ذلك، وأنه: ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (البقرة).

ثم ذَكَر ما يَتَعَلَّق بتوحيده من الآيات؛ ثم ذكر الحلال والحرام، وأَطْلَق الأَمْر في المَطاعِم؛ لأن الرسول بُعِث بالحَنِيفيَّة وشعارها؛ وهو البيت، وذَكَر سَماحَتها في الأحوال المباحة، وفي الدماء بما شَرَعه من القِصَاص، ومن أَخْذ الديَة؛ ثم ذكر العبادات المُتَعَلِّقة بالزمان؛ فذكر الوصية المُتَعَلِّقة بالموت، ثم الصيام المُتَعَلِّق برمضان وما يتصل به من الاعتكاف ذَكَرَه في عبادات المكان، وعبادات الزمان؛ فإنه يختص بالمسجد وبالزمان استحبابًا أو وجوبًا بوقت الصيام، وَوَسطه أولًا بين الطواف والصلاة؛ لأن الطواف يختص بالمسجد الحرام، والصلاة تُشْرَع في جميع

---

١) أخرجه أبو داود (١٩٨٩) من حديث أم معقل ﷺ، وصححه ابن خزيمة (٢٣٧٦)، والألباني في صحيح أبي داود (١٧٣٦).

الأرض، والعكوف بينهما. ثم أتبع ذلك بالنهي عن أكل الأموال بالباطل، وأخبر أن المُحَرَّم نوعان: نوع لعَيْنِه؛ كالميتة، ونوع لكَسْبه؛ كالربا والمغصوب، فأَتْبَع المعنى الثابِت بالمُحَرَّم الثابِت تحريمه لعَيْنِه، وذكر في أثناء عبادات الزمان المنتقلِ الحرامَ المُنْتَقِلَ؛ ولهذا أَتْبَعَه بقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ الآية (البقرة: ١٨٩)، وهي أعلام العبادات الزمنية، وأخبر أنه جعلها مواقيت للناس في أمر دينهم ودنياهم وللحج؛ لأن البيت تَحُجُّه الملائكة والجن، فكان هذا أيضًا في أن الحج مُوَقَّت بالزمان، كأنه مُوَقَّت بالبيت المكاني؛ ولهذا ذكر بعد هذا من أحكام الحج ما يختص بالزمان مع أن المكان من تمام الحج والعمرة.

وذكر المُحْصَر، وذَكَر تقديم الإحلال المُتَعَلِّق بالمال -وهو الهدي- عن الإحلال المُتَعَلِّق بالنَّفْس -وهو الحلق- وأن المُتَحَلِّل يَخْرُج من إحرامه، فيَحِلّ بالأسهل فالأسهل؛ ولهذا كان آخر ما يَحِل عين الوطء؛ فإنه أعظم المحظورات، ولا يَفْسُد النُّسُك بمحظور سواه.

وذكر التمتع بالعمرة إلى الحج لتَعَلُّقه بالزمان مع المكان؛ فإنه لا يكون مُتَمَتِّعًا حتى يُحْرِم بالعمرة في أشهر الحج، وحتى لا يكون أهله حاضري المسجد الحرامَ -وهو الأُفُقِيّ- فإنه الذي يَظْهَر التَّمَتُّع في حقه؛ لتَرَفُّهه بسقوط أحد السفرين عنه، أما الذي هو حاضر فسِيَّانِ عنده تمتع أو اعتمر قبل أشهر الحج.

ثم ذكر وقت الحج، وأنه أشهر معلومات، وذكر الإحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة؛ فإن هذا مختص بزمان ومكان؛ ولهذا قال: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ (البقرة: ١٩٧)، ولم يقل: والعمرة؛ لأنها تُفْرَض في كل وقت، ولا ريب أن السُّنَّة فَرْض الحج في أشهره، ومن فَرَض قبله خالف السُّنَّة؛ فإما أن يلزمه ما التزمه

كالنذر -إذ ليس فيه نَقْض للمشروع، وليس كمن صلى قبل الوقت- وإما أن يَلْزَم الإحرام، ويَسْقُط الحج، ويكون مُعْتَمِرًا؛ وهذان قولان مشهوران.

ثم أمر عند قضاء المناسك بذِكْره، وقضاؤها -والله أعلم- قضاء التَّفَث والإحلال؛ ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ (البقرة:٢٠٣)، وهذا أيضًا من العبادات الزمانية المكانية؛ وهو ذكر الله تعالى مع رمي الجمار، ومع الصلوات، ودلّ على أنه مكاني قوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ الآية (البقرة:٢٠٣)، وإنما يكون التعجيل والتأخير في الخروج من المكان؛ ولهذا تُضَاف هذه الأيام إلى مكانها فيُقال: أيام منى، وإلى عملها فيُقال: أيام التشريق، كما يُقال: ليلة جَمْع، وليلة مزدلفة، ويوم عرفة، ويوم الحج الأكبر، ويوم العيد، ويوم الجمعة؛ فُتضاف إلى الأعمال وأماكن الأعمال؛ إذ الزمان تابِع للحركة، والحركة تابعة للمكان.

فتدبَّر تناسب القرآن، وارتباط بعضه ببعض، وكيف ذَكَر أحكام الحج فيها في موضعين: مع ذكر بيته، وما يتعلق بمكانه، ومَوْضِعٍ ذَكَر فيه الأَهِلَّة، فذكر ما يتَعَلَّق بزمانه، وذكر أيضًا القتال في المسجد الحرام، والمقَاصَّة في الشهر الحرام؛ لأن ذلك مما يتعلَّق بالزمان المُتَعَلِّق بالمكان؛ ولهذا قَرَن سبحانه ذِكْر كون الأهلة مواقيت للناس والحج وذِكْر أن البِرّ ليس أن يُشْقِي الرجلُ نَفْسَه، ويفعل ما لا فائدة فيه؛ من كونه يَبْرُز للسماء فلا يَسْتَظِلّ بسَقْف بيته، حتى إذا أراد دخول بيته لا يأتيه إلا من ظهره، فأخبر أن الهلال الذي جُعِل مِيقاتًا للحج شَرْعٌ مثل هذا، وإنما تَضَمَّن شَرْعَ التقوى.

ثم ذكر بعد ذلك ما يَتَعَلَّق بأحكام النكاح والوالدات، وما يتعلَّق بالأموال والصدقات والربا والديون وغير ذلك، ثم ختمها بالدعاء العظيم المُتَضَمِّن وَضْع الآصار والأغلال، والعفو والمغفرة، والرحمة وطلب النصر على القوم الكافرين الذين هم أعداء ما شَرَعَه من الدين في كتابه المبين. والحمد لله رب العالمين» اهـ[1].

وقال الشاطبي ﵀: «ثم لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان من أول ما نزل عليه سورة البقرة، وهي التي قرَّرَت قواعد التقوى المَبْنِيَّة على قواعد سورة الأنعام؛ فإنها بَيَّنَت من أقسام أفعال المكلفين جُمْلَتها، وإن تَبَيَّن في غيرها تفاصيل لها؛ كالعبادات التي هي قواعد الإسلام، والعادات من أصل المأكول والمشروب وغيرهما، والمعاملات من البيوع والأنكحة وما دَارَ بها، والجنايات من أحكام الدماء وما يليها.

وأيضًا؛ فإن حِفْظ الدين فيها، وحِفْظ النَّفْس والعقل والنسل والمال مُضَمَّن فيها، وما خرج عن المُقَرَّر فيها فبحكم التَّكْمِيل، فغيرها من السور المدنية المتأخرة عنها مَبْنِي عليها، كما كان غير الأنعام من المَكِّي المُتَأَخِّر عنها مَبْنِيًّا عليها، وإذا تَنَزَّلْت إلى سائر السور بعضها مع بعض في الترتيب؛ وجدتَّها كذلك، حذو القُذَّة بالقُذَّة؛ فلا يَغِيبَنَّ عن النَّاظر في الكتاب هذا المعنى؛ فإنه من أسرار علوم التفسير، وعلى حَسَب المعرفة به تَحْصُل له المعرفة بكلام ربه سبحانه» اهـ[2].

---

١) مجموع الفتاوى (١٤/٤١-٤٧).

٢) الموافقات (٤/٢٥٧).

٢- تدبر الآيات إجمالًا للتوصل إلى مقاصد السورة[١].

التطبيق:

١- (سورة العنكبوت) :

قال ابن القيم ﷺ: «فمضمون هذه السورة هو سِرُّ الخلق والأمر؛ فإنها سورة الابتلاء والامتحان، وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة، ومن تأمل فاتحتها ووسطها وخاتمها، وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسطه صبر وتوكل، وآخره هداية ونصر»[٢].

٢- (سورة الرحمن) :

قال ابن القيم ﷺ: «تأمل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ (الرحمن)، كيف جعل الخلق والتعليم ناشئًا عن صفة الرحمة مُتَعَلِّقًا باسم الرحمن، وجعل معاني السورة مُرتبطة بهذا الاسم، وختمها بقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾ (الرحمن)، فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتَح به السورة؛ إذ مجيء البركة كلِّها منه، وبه وُضِعَت البركة في كل مبارك، فكل ما ذُكِر عليه بُورك فيه، وكل ما خَلِيَ منه نُزِعَت منه البركة»[٣].

---

١) مقصود السورة: هو القضية الكُلِّية والمِحْوَر الأساس الذي تدور عليه الآيات وتَلْتَئِم عليه موضوعاتها.

٢) شفاء العليل (٢٤٧/١).

٣) مختصر الصواعق المرسلة (ص ٣٦٩).

٣- (سورة الليل) :

«عن ابن عباس ﷺ قال: «إني لأقول: هذه السورة نزلت في السماحة والبخل»[1].

٤- (سور: الكافرون، الإخلاص، المعوذتان) :

فمقصود سورة الكافرون: تقرير البراءة من عبادة الكافرين ومن معبوداتهم؛ فهي في توحيد الطلب والقصد (توحيد العبادة).

أما سورة الإخلاص، فمقصودها: تقرير الوحدانية لله تعالى بذكر صفاته الدالة على ذلك؛ فهي في توحيد الإثبات والمعرفة (الأسماء والصفات).

وأما المعوذتان، فمقصود سورة الفلق: الاستعاذة من جميع الشرور.

وأما الناس: فالاستعاذة من شر الوسواس الخناس.

---

١) الدر المنثور (٨/ ٥٣٣)، وعزاه لابن مردويه.

٣- تدبُّر المعنى العام للآية للتوصُّل إلى المعنى الأساسي الذي نزلت لتقريره.

وهذا أمر لابد من مراعاته؛ ذلك أن المعنى المقصود أصالةً، قد يُفْقَد عند تَتَبُّع اللَّطائف البلاغية، والمُلَح التدبُّريَّة في وجوه التعبير المتنوعة؛ ولذا نجد أن ابن جرير ﷺ يُورِد المعنى العام بعد الآية مباشرة، ثم يذكر التفاصيل والأقوال بعد ذلك.

وهذا وسط بين رأي من أنكر الاشتغال بالمناسبات والدقائق واللطائف، ومن أغرق في ذلك على حساب المعنى الأصلي للآية، مما يصرف القارئ عن ملاحظته[1].

---

١) انظر: الموافقات للشاطبي (٤/ ٢٦١). وانظر كلام الشوكاني في المناسبات في كتابه: فتح القدير (١/٨٥-٨٧)، وانظر: الفوز الكبير في أصول التفسير ص ٦٧.

الباب الثاني

في المعاني والهدايات المستخرجة

وفق القواعد والأصول المعتبرة[1]

---

١) تُعدُّ المطالب الداخلة تحت هذا الباب من الجوانب المهمة في التدبُّر في الأعم الأغلب.

أولاً: إعمال أنواع الدلالة في استخراج الهدايات من الآيات الكريمة.

توطئة:

من المعلوم أن معاني الألفاظ: إما أن تكون مُسْتَفادة من منطوق اللفظ، أو من مفهومه.

وكل نوع من هذين (المنطوق والمفهوم) تحته أنواع، سنعرض جملة منها مع تطبيقاتها.

قال السعدي ﵀: «القاعدة الحادية عشرة: مُرَاعَاة دلالة التَّضَمُّن والمُطَابَقة والالتزام.

كما أن المُفَسِّر للقرآن يُرَاعِي ما دلت عليه ألفاظه مُطَابَقة، وما دخل في ضمنها، فعليه أن يُرَاعِي لوازم تلك المعاني، وما تستدعيه من المعاني التي لم يُعَرِّج في اللفظ على ذِكْرِها.

وهذه القاعدة: من أَجَلّ قواعد التفسير وأنفعها، وتَسْتَدعي قوة فِكْر، وحُسْن تدبر، وصحة قصد؛ فإن الذي أنزله للهدى والرحمة هو العَالِم بكل شيء، الذي أحاط علمه بما تُكِنّ الصدور، وبما تَضَمَّنَه القرآن من المعاني، وما يتبعها وما يتقدمها، وتتوقف هي عليه.

ولهذا أجمع العلماء على الاستدلال باللوازم في كلام الله لهذا السبب.

والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع: أن تَفْهَم ما دل عليه اللفظ من المعاني، فإذا فهمتها فهمًا جيدًا، فَفَكِّر في الأمور التي تتوقف عليها، ولا تحصل بدونها، وما يُشْتَرط لها، وكذلك فَكِّر فيما يترتب عليها، وما يتفرع عنها، وينبني عليها،

وأَكْثِر من هذا التفكير ودَاوِم عليه، حتى تصير لك مَلَكَة جيدة في الغَوْص على المعاني الدقيقة؛ فإن القرآن حق، ولَازِم الحق حق، وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرع عن الحق حق؛ ذلك كله حق ولا بد.

فمن وُفِّق لهذه الطريقة، وأعطاه الله توفيقًا ونورًا، انفتحت له في القرآن العلوم النافعة، والمعارف الجليلة، والأخلاق السامية، والآداب الكريمة العالية»اهـ[1].

تطبيقات شاملة[2]:

١- قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأعراف).

قال ابن القيم ﵀: «وقوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ له دلالة بمنطوقه، ودلالة بإيمائه وتعليله، ودلالة بمفهومه؛ فدلالته بمنطوقه على قُرْب الرحمة من أهل الإحسان، ودلالته بتعليله وإيمائه على أن هذا القُرْب مُسْتَحَقٌّ بالإحسان؛ فهو السبب في قُرْب الرحمة منهم، ودلالته بمفهومه على بُعْد الرحمة من غير المحسنين؛ **فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة**»[3].

٢- قال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ ﴾ (غافر).

---

١) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص٣٢).

٢) المقصود بهذه التطبيقات: التمثيل لإعمال العلماء أنواع الدلالات، لاستخراج الحِكَم والأحكام والهدايات؛ من آي القرآن الكريم.

٣) بدائع الفوائد (٣/ ١٧).

قال ابن القيم ﷬: «وتَأَمَّل كيف افْتَتَح الآية بقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، والتنزيل يَسْتَلْزِم عُلُوَّ الـمُنَزِّل من عنده؛ لا تَعْقِل العرب من لغتها -بل ولا غيرها من الأمم السليمة الفطرة- إلا ذلك.

وقد أخبر أن تنزيل الكتاب منه، فهذا يدل على شيئين:

أحدهما: عُلُوّه تعالى على خلقه.

والثاني: أنه هو المتكلم بالكتاب المنزل من عنده لا غيره.

فإنه أخبر أنه منه، وهذا يقتضي أن يكون منه قولًا، كما أنه منه تنزيلًا. فإن غيره لو كان هو المتكلم به لكان الكتاب من ذلك الغير، فإن الكلام إنما يُضَاف إلى المُتَكَلِّم به، ومثل هذا: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ (السجدة:١٣)، ومثله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ (النحل:١٠٢)، ومثله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢)، فاسْتَمْسِك بحرف (مِن) في هذه المواضع، فإنه يقطع حُجَج شَغْب المعتزلة والجهمية.

وتأمل كيف قال: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ﴾، ولم يقل: (تنزيله)، فتضمنت الآية إثبات علوه، وكلامه، وثبوت الرسالة.

ثم قال: ﴿ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (فصلت: ٢)، فتضمن هذان الاسمان صِفَتَي القُدرة والعلم وخلق أعمال العباد وحُدُوث كل ما سوى الله؛ لأن القَدَر هو قُدرة الله؛ كما قال أحمد بن حنبل؛ فتضمنت إثبات القدر؛ ولأن عزته تمنع أن يكون في مُلْكِه ما لا يشاؤه، أو أن يشاء ما لا يكون؛ فكمال عزته تُبْطِل ذلك.

وكذلك كمال قدرته تُوجب أن يكون خالق كل شيء، وذلك ينفي أن يكون في العالم شيء قديم لا يتعلق به خلقه؛ لأن كمال قدرته وعزته يُبْطِل ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ (غافر: ٣)، والذنب مخالفة شرعه وأمره، فتضمن هذان الاسمان إثبات شرعه وإحسانه وفضله.

ثم قال تعالى: ﴿ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾، وهذا جزاؤه للمذنبين، ﴿ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ ﴾ جزاؤه للمحسنين، فتضمنت الثواب والعقاب.

ثم قال تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (غافر: ٣)، فتضمن ذلك التوحيد والمعاد.

فتضمنت الآيتان إثبات صفة العلو، والكلام، والقدرة، والعلم، والشرع، والقَدَر، وحدوث العالم، والثواب والعقاب، والتوحيد والمعاد، وتنزيل الكتاب منه على لسان رسوله ﷺ يتضمن الرسالة والنبوة؛ فهذه عشرة قواعد الإسلام والإيمان تجلى على سمعك في هذه الآية العظيمة.

ولكن..

خَوْدٌ تُزَفُّ إلى ضرير مُقْعَد ....[1].

فهل خطر ببالك قط أن هذه الآية تتضمن هذه العلوم والمعارف مع كثرة قراءتك لها وسماعك إياها؟! وهكذا سائر آيات القرآن، فما أشَدَّها من حسرة وأعظمها من غَبْنَة على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن ولا باشر قلبه أسراره ومعانيه، فالله المستعان»[2].

---

١) شطر بيت من قصيدته النونية (١٠٣٧/١)، وشطره الثاني:

.... *** يا مِحْنَة الحَسْنَاء بالعميان

وأصله شطر بيت للحسين بن الحجاج، وشطره الأول:

وكأنها لما أحلت عنده *** ....

انظر: المنتحل (ص١٥٨).

٢) بدائع الفوائد (١٩٣/١-١٩٤).

وبعد هذا الإجمال إليك شيئًا من التفصيل في هذه الأنواع:

النوع الأول: «دلالة المنطوق»[1]:

وهو قسمان:

١- المنطوق الصريح؛ وهو نوعان:

(أ) دلالة المطابقة[2]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (البقرة).

قال ابن عثيمين ﵀: «هذه الهداية تشمل: هداية العلم وهداية العمل، وهي التي يُعَبَّر عنها أحيانًا بهداية الإرشاد، وهداية التوفيق؛ فالإنسان إذا صام رمضان وأكمله، فقد منّ الله عليه بهدايتين: هداية العلم، وهداية العمل.

---

١) وهو: المعنى المستفاد من اللفظ من حيث النطق به. انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٧٣).

٢) هي دلالة اللفظ على تمام المعنى الموضوع له اللفظ. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٢٦٩)، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (٤٤٦). والمقصود: أنك إذا حملت اللفظ على المعاني الداخلة تحته جميعًا فذلك من قبيل المطابقة. وبناء على ذلك يمكنك تطبيق ذلك على الأمثلة المذكورة وغيرها.

قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: تقومون بشكر الله ﷻ؛ و (لعل) هنا للتعليل، و ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على أمور أربعة: إرادة الله بنا اليُسْر، عدم إرادته العُسْر، إكمال العِدَّة، التكبير على ما هدانا؛ هذه الأمور كلها نِعَم تحتاج منا أن نشكر الله ﷻ عليها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، و(الشكر) هو القيام بطاعة المُنْعِم بفعل أوامره، واجتناب نواهيه»[1].

٢- قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٦).

لا تُفَكِّر في تصميم حج مُختصر[2].

٣- قال تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة: ٢٣١).

إنها تربية قرآنية تؤكد على أن الاعتداء على الآخرين هو ظلم للنفس أولًا؛ بتعريضها لسخط الله وغضبه[3].

٤- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

قال السعدي ؒ: «دل هذا على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أُمِرَ به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل

---

١) تفسير القرآن الكريم (البقرة) للعثيمين (٣٣٦/٢).

٢) ليدبروا آياته (١٩/٥).

٣) السابق (٥٢/١).

مطلوبه أمور إلهية خارجة عن مُدْرَك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم؛ فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد الذي لايقوم به إلا خواص الخلق»[1].

وقالِ ابن القيم ﵀: «عَلَّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكملُ الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأَفْرَضُ الجهاد: جهاد النَّفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشَّيطان، وجهاد الدُّنيَا؛ فمن جاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبل رِضاهُ الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد، فَاتَهُ من الهدى بِحَسب ما عَطَّل من الجهاد، قال الجُنَيد: والَّذين جاهدوا أهواءهم فِينَا بالتوبة، لنهدينهم سبل الإخلاص. ولا يتَمَكَّن من جهاد عدوه في الظَّاهر إلا من جاهد هذه الأعدَاء باطنًا؛ فمن نُصِر عَلَيهَا نُصِر على عدوه، ومن نُصِرت عليه نُصِر عليه عدوه»[2].

ب- دلالة التَّضَمُّن[3]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ (البقرة).

قال شيخ الإسلام ﵀: «لكن أهل الكتابين بدّلوا؛ ولهذا نهى النبي ﷺ عن تقدم رمضان باليوم واليومين، وعَلَّل الفقهاء ذلك بما يُخَاف من أن يُزَاد في الصوم

١) تفسير السعدي (ص ٦٣٥).

٢) الفوائد (ص٥٩).

٣) وهي: دلالة اللفظ على بعض معناه. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٢٦٩). والمعاني المشار إليها في الأمثلة أعلاه هي من هذا النوع. فتأمل.

المفروض ما ليس منه، كما زاده أهل الكتاب من النصارى، فإنهم زادوا في صومهم، وجعلوه فيما بين الشتاء والصيف، وجعلوا له طريقة من الحساب يتعرفون به»[1].

وقال السعدي ﷺ: «وفيه تنشيطٌ لهذه الأمة بأنه ينبغي لكم أن تُنَافِسُوا غيركم في تكميل الأعمال، والمُسارعة إلى صالح الخِصَال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة التي اختصيتم بها»[2]؛ إشارة إلى أصل الفرضية، وذلك بعض معنى الآية.

٢- قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (آل عمران).

قال ابن كثير ﷺ: «قال الضحاك ﷺ: ... حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيهًا»[3]. وذلك أحد المعاني الداخلة تحت هذا الوصف (الرباني).

٣- قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (السجدة).

قال ابن كثير ﷺ: «قال قتادة وسفيان: ﴿ لَمَّا صَبَرُوا۟ ﴾ عن الدنيا... قال سفيان: هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إمامًا يُقْتَدَى به حتى يتحامى عن الدنيا»[4]؛ وهو بعض معنى الآية.

١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٨٦/١). فراعى هنا مدة الصوم، وهي شهر، وذلك بعض معنى الآية.

٢) تفسير السعدي (ص ٨٦).

٣) تفسير ابن كثير (٦٦/٢).

٤) السابق (٣٧١/٦).

٢- المنطوق غير الصريح (دلالة الالتزام)[١]:

ويدخل تحتها ثلاثة أنواع: (اقتضاء، وإشارة، وإيماء وتنبيه):

الأول: دلالة الاقتضاء[٢]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (البقرة).

قال القَصَّاب ﷺ[٣]: «دليل واضح لمن تدبره أن حرمان التوفيق أقعدهم عن الإيمان؛ لما حسدوا عليه غيرهم وتبين لهم حقيقته؛ إذ محال أن يحسدوا غيرهم على ما هو باطل وفي أيديهم -بزعمهم- ما هو خير منه»[٤].

---

١) وهي دلالة اللفظ على خارج عن مُسَمَّاه، لازم له لزومًا ذهنيًّا، أو خارجيًّا. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٢٢٩)، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص٤٤٦).

٢) وهي: أن يتضمن الكلام إضمارًا ضروريًّا لابد من تقديره؛ لأن الكلام لا يستقيم دونه: إما لتوقف الصدق عليه، وإما لتوقف الصحة عليه نقلًا، أو عقلًا. انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/ ٦٤)، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص٤٤٧).

٣) هو: أبو أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي الغازي المجاهد، وعُرِف بالقصاب؛ لكثرة ما قَتَل في مغازيه. عاش إلى حدود ٣٦٠هـ انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢١٣).

٤) نكت القرآن (١/ ١٣٢).

٢- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (النساء:٨).

قال السعدي ﵀: «ويُؤْخَذ من المعنى أن كل من له تَطَلُّع وتَشَوّف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر؛ كما كان النبي ﷺ يقول: «إذا جاء أحدَكم خادمُه بطعامه فَلْيُجْلِسْه معه، فإن لم يُجْلِسْه معه فَلْيُنَاوِلْه لُقْمَة أو لُقْمَتين»[١]، أو كما قال. وكان الصحابة ﷺ -إذا بدأت باكورة أشجارهم- أتوا بها رسول الله ﷺ فبرّك عليها، ونظر إلى أصغر وليد عنده فأعطاه ذلك[٢]؛ علمًا منه بشدة تَشَوّفه لذلك، وهذا كله مع إمكان الإعطاء»[٣].

٣- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (المائدة).

قال السعدي ﵀: «وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم؛ فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتَفْتُر قوته عند عَذْل العاذلين، وفي قلوبهم تَعَبُّد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم

---

١) وأصله مخرج في صحيح البخاري (٥٤٦٠)، من حديث أبي هريرة ﵁؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتى أحدَكُم خَادِمُه بطعامه، فإن لم يُجْلِسْه معه فليناوله أكلة أو أكلتين، أو لقمة أو لقمتين؛ فإنَّهُ وَلِيَ حرَّهُ وعِلاجَهُ».

٢) وأصله مخرج في صحيح مسلم (١٣٧٣)، من حديث أبي هريرة ﵁؛ أن رسول الله ﷺ كان يُؤْتَى بأول الثمر، فيقول: «اللَّهُمَّ بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مُدِّنا، وفي صاعنا بركة مع بركة»، ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان.

٣) تفسير السعدي (ص ١٦٥).

رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله؛ حتى لا يخاف في الله لومة لائم»[1].

٤- قال تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (الأنبياء). وفي قراءة الجمهور: {قل رب احكم بالحق}[2].

قال ابن هبيرة ﷺ[3]: «المُراد منه: كُن أنت - أيها القائل - على الحق ليُمكنك أن تقول: احكُم بالحق؛ لأن الـمُبْطِل لا يمكنه أن يقول: احكُم بالحق»[4].

٥- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ (النور).

قال ابن القيم ﷺ: «فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهبًا إذا كانوا معه إلا باستئذانه، فأولى أن يكون من لَوَازِمِهِ ألا يذهبوا إلى قولٍ ولا مذهبٍ علمي إلا بعد استئذانه، وإذنه يُعرف بدلالة ما جاء به على أنه أَذِن فيه»[5].

---

١) السابق (ص ٢٣٥).

٢) انظر النشر (٣٢٥/٢).

٣) هو: يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبو المظفر، عون الدين، من كبار الوزراء في الدولة العباسية، عالم بالفقه والأدب، له نظم جيد، ولد في قرية من أعمال دُجيل (بالعراق)، ودخل بغداد في صباه، فتعلم صناعة الإنشاء، وقرأ التاريخ والأدب وعلوم الدين. توفي سنة: ٥٦٠هـ انظر: وفيات الأعيان (٦/ ٢٣٠)، والأعلام للزركلي (٨/ ١٧٥).

٤) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٥/٢).

٥) إعلام الموقعين (٤١/١).

٦- قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (الحشر).

قال أبو بكر بن عَيَّاش ﵀[1]: «أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ في القرآن؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾، فمن سَمَّاه الله صادقًا فليس يكذب، هم قالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ»[2].

٧- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحشر).

قال السعدي ﵀: «ذَكَر الله في هذا الدعاء نَفْي الغِلّ عن القلب، الشامل لقليل الغِلّ وكثيره الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين»[3].

«والمُراد بدعاء اللَّاحِق للسابق، والخَلَف للسلف: أنهم متبعون لهم، أو هو تعليم لهم بأن يدعوا لمن قبلهم، ويذكروهم بالخير»[4].

---

١) هو: أبو بكر بن عياش الكوفي المُقرئ الأسدي الحَنَّاط: اختُلِف في اسمه على عشرة أقوال؛ أصحها قولان: أن اسمه كنيته، أو شُعبة، كان من مشاهير القراء، وقرأ القرآن ثلاث مرات على عاصم، وكان عالمًا فقيهًا في الدين، توفي سنة: ١٩٣هـ انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٨٠ -٨٣)، الأعلام للزركلي (٣/ ١٦٥).

٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٩٨).

٣) تفسير السعدي (ص ٨٥١).

٤) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٨/ ١٧٩).

٨- قال تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾ (التكاثر).

عن ميمون بن مِهْران ﷺ قال: «قرأ عمر بن عبد العزيز ﷺ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾، فبكى، ثم قال: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾: ما أرى المقابر إلا زيارة، ولا بد لمن يزورها أن يرجع إلى الجنة، أو إلى النار»[1].

وقال ابن القيم ﷺ: «وتأمل كيف جعلهم عند وصولهم إلى غاية كل حي زائرين غير مستوطنين، بل هم مُسْتَودَعون في المقابر مدة، وبين أيديهم دار القرار، فإذا كانوا عند وصولهم إلى الغاية زائرين، فكيف بهم وهم في الطريق في هذه الدار؟! فهم فيها عابرو سبيل إلى محل الزيارة، ثم مُنتقِلون من محل الزيارة إلى المُستقر»[2].

الثاني: دلالة الإشارة:[3] وله صورتان:

الصورة الأولى: ما يُسْتَخْرَج من نص واحد:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ (البقرة:١٦٨).

فتسمية استدراج الشيطان (خطواتٍ) فيه إشارتان:

(١) الخطوة مسافة يسيرة؛ وهكذا الشيطان يبدأ بالشيء اليسير من البدعة، أو المعصية، حتى تألفها النفس.

---

١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (٢٧٩/١).

٢) عدة الصابرين (ص ١٩٤).

٣) هو: دلالة اللفظ على معنى ليس مقصودًا باللفظ في الأصل، ولكنه لازم للمقصود، فكأنه مقصود بالتبع لا بالأصل. انظر: التعريفات للجرجاني (١/ ٢٧)، المذكرة في أصول الفقه (ص ٢٨٣).

(٢) قوله: ﴿ خُطُوَٰتِ ﴾ بالجمع، دليل على أن الشيطان لن يقف عند أول خطوة في المعصية[١].

٢- قال تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (البقرة:١٨٧).

تأمل قوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾، وما فيها من تربية الذَّوْق والأدب في الكلام، إضافةً إلى ما في اللباس من دلالة الستر، والحماية، والجمال، والقرب... وهل أحد الزوجين للآخر إلا كذلك؟! وإن كانت المرأة في ذلك أظهر أثرًا كما يشير إلى ذلك البَدْء بضميرها: ﴿ هُنَّ ﴾[٢].

٣- قال تعالى: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ (البقرة: ١٨٧).

قال البيضاوي ﷺ: «وفي تجويز المُبَاشَرة إلى الصبح؛ الدلالة على جواز تأخير الغُسل إليه، وصحة صوم المُصبح جُنُبًا»[٣].

٤- قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (البقرة).

---

١) ليدبروا آياته (٥٤/١).

٢) السابق (٥٦/١).

٣) تفسير البيضاوي (١٢٦/١).

قال القرطبي ﵀: «ففي دعاء رسول الله ﷺ للمُحَلِّقين ثلاثًا وللمُقَصِّرين مرة[1]، دليل على أن الحلق في الحج والعمرة أفضل من التقصير؛ وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾، ولم يقل: تُقَصِّروا»[2].

٥- قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)﴾ (التحريم).

قال الشيخ بكر أبو زيد ﵀: «فقوله سبحانه: ﴿تَحْتَ﴾ إعلام بأنه لا سلطان لهما على زوجيهما، وإنما السلطان للزوجين عليهما؛ فالمرأة لا تُسَاوَى بالرجل ولا تعلو فوقه أبدًا»[3].

الصورة الثانية: ما يُسْتَخْرَج من مجموع دليلين فأكثر:

التطبيق:

١- «إن موسى ﵇ سأل أَجَلَّ الأشياء؛ فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف:١٤٣)، وسأل أقل الأشياء؛ فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)﴾ (القصص)، فنحن أيضًا نسأل الله أَجَلَّ الأشياء؛ وهي خيرات الآخرة، وأقلها؛ وهي خيرات الدنيا؛ فنقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (البقرة:٢٠١)»[4].

---

١) أخرجه البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١).

٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٨١/٢).

٣) حراسة الفضيلة (ص١٩).

٤) من أسرار التنزيل (ص ١٣٢).

٢- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وقال في سورة الأحقاف: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ (الأحقاف: ١٥).

قال القرطبي ﷀ: «استنبط عليٌّ ﷁ مدة أقل الحمل -وهو ستة أشهر- من قوله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾، فإذا فَصَلْنا الحولين من ثلاثين شهرًا، بقيت ستة أشهر»[١].

٣- قال تعالى في سورة طه: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ (طه:٩٤)، وقال في سورة الأنعام: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾...إلى قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام: ٨٤- ٩٠).

قال الشنقيطي ﷀ: «هذه الآية الكريمة بِضَمِيمَةِ آية (الأنعام) إليها تدل على لزوم إعفاء اللِّحية؛ فهي دليل قرآني على إعفاء اللِّحية وعدم حلقها»[٢].

٤- قال تعالى عن أيوب ﷺ في سورة الأنبياء: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الأنبياء)، وقال عنه في سورة ص: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص: ٤٣).

---

١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٦٢)، وانظر نحوه: مجموع الفتاوى (٣٤/ ١٠)، ومختصر الصواعق المرسلة (ص ١٠٤).

٢) أضواء البيان (٤/٦٣٠).

قال الشنقيطي رحمه الله: «قوله في (الأنبياء): ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾، مع قوله في (ص): ﴿ وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾؛ فيه الدلالة الواضحة على أن أصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال، هم الذين يعبدون الله وحده ويطيعونه. وهذا يؤيد قول من قال من أهل العلم: إن من أوصى بشيء من ماله لأعقل الناس؛ أن تلك الوصية تُصْرَف لأتقى الناس وأشدهم طاعة لله تعالى؛ لأنهم هم أولو الألباب؛ أي: العقول الصحيحة السالمة من الاختلال»[1].

٥- قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (الحديد:١٠)، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠١).

قال ابن حزم رحمه الله: «فجاء النص أن من صَحِبَ النبي ﷺ، فقد وعده الله تعالى الحسنى، وقد نص الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران: ٩)»[2].

٦- قال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله: «إني قرأت القرآن، فوجدت صفة سليمان عليه السلام مع العافية التي كان فيها: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص:٣٠)، ووجدت صفة أيوب عليه السلام مع البلاء الذي كان فيه: ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص:٤٤)، فاستوت الصفتان؛ وهذا مُعَافى، وهذا مُبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحبَّ إلي من البلاء مع الصبر»[3].

---

١) أضواء البيان (٤/ ٨٤٩)، وانظر نحوه: في تفسير النيسابوري (٥/ ٦٠٣).

٢) المحلى (٤٤/١).

٣) تهذيب الكمال (١٩٣/١١).

٧- قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ (الشورى)، مع قوله: ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (لقمان: ١٥)، مع العلم بأحوال الصحابة ﵃، وشدة إنابتهم دليل على أن قولهم حجة، خصوصًا الخلفاء الراشدين ﵃ أجمعين[١].

٨- قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (فاطر: ٢٨)، وقال في سورة البينة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (البينة).

قال ابن جماعة ﵀[٢]: «فاقتضت الآيتان: أنَّ العلماء هم الذين يخشون الله تعالى، وأنَّ الذين يخشون الله تعالى هم خير البريَّة؛ فينتج بهذا أن العلماء هم خير البريَّة»[٣].

---

١) تفسير السعدي (ص٧٥٤).

٢) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعيّ، بدر الدين، أبو عبد الله، قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد في حماة، وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي، كان من خيار القضاة، وتوفي بمصر سنة: ٧٣٣هـ انظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي (٢/ ١٣٠)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢٩٧).

٣) تذكرة السامع والمتكلم (ص ٦).

الثالث: دلالة الإيماء والتنبيه[1]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ (المائدة).

قال السعدي ﷺ: «دل على أن طهارة القلب سبب لكل خير، وهو أكبر داعٍ إلى كل قول رشيد وعمل سديد»[2].

٢- قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الأعراف).

قال ابن القيم: «في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ عقب قوله: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾، دليل على أن من لم يَدْعُه تضرعًا وخُفْيَة، فهو من المُعتدين الذين لا يُحبهم، فقسمت الآية الناس إلى قسمين: داعٍ لله تضرعًا وخُفية، ومُعْتَدٍ بترك ذلك»[3].

---

١) وهي: أن يُذْكَر وصف مُقْتَرِنٌ بحكم في نص من نصوص الشرع على وجه لو لم يكن ذلك الوصف عِلَّة لذلك الحكم لكان الكلام معيبًا. انظر: نشر البنود (١/ ٢٨٥- ٢٨٦)، المذكرة في أصول الفقه (ص ٢٨٣).

٢) تفسير السعدي (ص ٢٣١).

٣) بدائع الفوائد (٣/ ١٤).

٣- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) ﴾ (الأعراف).

قال السعدي ﷺ: «فإن مَن لازَم على هذين الأمرين حين يُتلَى كتاب الله، فإنه ينال خيرًا كثيرا، وعلمًا غزيرا، وإيمانًا مستمرًّا متجددا، وهدى متزايدا، وبصيرة في دينه؛ ولهذا رَتَّب الله حصول الرحمة عليهما؛ فدل ذلك على أن من تُلي عليه الكتاب، فلم يستمع له ويُنْصِت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خيرٌ كثير»[1].

٤- قال تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ (مريم).

قال السعدي ﷺ: «ولما كان مُفَارَقة الإنسان لوطنه ومَأْلَفِه وأهله وقومه من أشق شيء على النفس؛ لأمور كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يتعزز بهم ويتكثر، وكان من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا ﴾ -من إسحاق ويعقوب- ﴿ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾»[2].

وقال الشنقيطي ﷺ عند تفسير الآية: «بين تعالى... أن اعتزال الكفار والأوثان والبراءة منهم من فوائده: تفضل الله تعالى بالذرية الطيبة الصالحة»[3].

---

١) تفسير السعدي (ص ٣١٤).

٢) السابق (ص ٤٩٤).

٣) أضواء البيان (٥٧٠/٢)، وانظر نحوه: تفسير ابن كثير (٥٧٢/٤-٥٧٣)، (٢٣٦/٥)، والقواعد الحسان (ص١٦٤).

٥- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ۝٨٤﴾ (طه).

قال ابن القيم ﷺ: «وظاهر الآية أن الحامل لموسى على العجلة هو طلب رضا ربه، وأن رضاه في المبادرة إلى أوامره والعجلة إليها؛ ولهذا احتج السلف بهذه الآية على أن الصلاة في أول الوقت أفضل؛ سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر ذلك، قال: إن رضا الرب في العجلة إلى أوامره»[1].

النوع الثاني: «دلالة المفهوم»[2]:

وهو قسمان:

١- مفهوم الموافقة[3]؛ وهو نوعان:

الأول: الأَوْلَوي[4]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ (البقرة: ٩٣).

---

١) مدارج السالكين (٣/٦٠).

٢) وهو: المعنى المستفاد من حيث السكوت اللازم للفظ. انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٧٣).

٣) وهو: ما وافق المسكوتُ عنه المنطوقَ في الحكم. ويُسمى: (فحوى الخطاب) و (لحن الخطاب). انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٨١).

٤) وهو: ما كان المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق. انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٨٢)، المذكرة في أصول الفقه (ص ٢٨٤).

قال شيخ الإسلام ﵀: «أي أُشرِبوا حُبَّه، فإذا كان المخلوق الذي لا تجوز به محبته قد يُحِبه القلب حُبًّا يجعل ذلك شرابًا للقلب، فحُب الربّ تعالى أن يكون شَرابًا يشربه قلوب المؤمنين أولى وأحرى»[1].

٢- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (البقرة).

قال ابن كثير ﵀: «روى ابن أبي حاتم... عن وُهَيْب بن الورد، أنه قرأ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾، ثم يبكي ويقول: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق ألا يتقبل منك!»[2]؛ يعني: أنه مع منزلته وعِظَم عمله هذا مُشْفِق، فغيره من باب أولى.

٣- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ (البقرة)

---

١) جامع المسائل لابن تيمية (١/١٣٢- ١٣٣).

٢) تفسير ابن كثير (١/٤٢٧).

قال الشنقيطي ﷺ: «قال بعض أهل العلم: أرجى آية في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ آية الدَّيْن، وهي أطول آية في القرآن العظيم، وقد أوضح الله ﷻ فيها الطُّرُقَ الكفيلة بصيانة الدَّيْنِ من الضياع ولو كان الدَّيْنُ حقيرًا؛ كما يدل عليه قوله تعالى فيها: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ الآية (البقرة:٢٨٢)؛ قالوا: هذا من المحافظة في آية الدَّيْنِ على صيانة مال المسلم، وعدم ضياعه ولو قليلًا يدل على العناية التَّامَّةِ بمصالح المسلم، وذلك يدل على أن اللَّطيف الخبير لا يُضَيِّعُهُ يوم القيامة عند اشتداد الهولِ، وشدة حاجته إلى ربه»[1].

يعني: أنه إذا احترز لماله من أجل حِفْظِه؛ فذلك يدل على أن حِفْظ عبده المؤمن من باب أولى.

٤- قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران:١٧).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «قد أمر الله سبحانه عباده أن يَخْتِمُوا الأعمال الصالحات بالاستغفار؛ فكان النَّبِيُّ ﷺ إذا سلَّمَ من الصلاة يستغفر ثلاثًا ويقول: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»[2]؛ كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾، فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار.

وكذلك ختم سورة المزمل -وهي سورة قيام الليل- بقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ (المزمل)»[3].

---

١) أضواء البيان (٦/ ١٨٣).

٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٩١).

٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٥٤).

وإذا كان ذلك بعد هذه الطاعات؛ فإنه يكون بعد التقصير والمعصية أولى وآكد.

٥- قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴿٣٢﴾﴾ (النساء).

قال الشيخ بكر أبو زيد ﷺ: «فإذا كان هذا النهي - بنص القرآن - عن مجرد التمني، فكيف بمن ينكر الفوارق الشرعية بين الرجل والمرأة، وينادي بإلغائها، ويطالب بالمساواة، ويدعو إليها باسم المساواة بين الرجل والمرأة؟!»[1].

٦- قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥).

قال ابن مفلح ﷺ[2]: «وإذا كان توقف القلب عن الرضا بحكم الرسول ﷺ يُخْرِج عن الإيمان، فكيف يصح الإيمان مع الاعتراض على الله تعالى؟!»[3].

٧- قال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف:٢١).

قال ابن كثير ﷺ في تفسير الاستعاذة: «وقد أقسم للوالد: إنه لمن الناصحين، وكذب، فكيف معاملته لنا وقد قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص)؟!»[4].

---

١) حراسة الفضيلة (ص ٢١).

٢) هو: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولد ونشأ في بيت المقدس، وتوفي بصالحية دمشق سنة: ٧٦٣ هـ انظر: الدرر الكامنة (٦/ ١٤)، الأعلام للزركلي (٥/ ٣٠٣).

٣) الآداب الشرعية (١٩٤/٢).

٤) تفسير ابن كثير (١١٠/١).

٨- قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ (التوبة:٦٥، ٦٦).

قال ابن تيمية ﷺ: «وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وآياته وبرسوله كفر، فالسَّبّ المقصود بطريق الأولى»[١].

٩- قال تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (التوبة).

قال العز بن عبد السلام ﷺ: «إذا أحب مولاك المتطهرين من الأحداث والأنجاس، فما الظن بمن تطهر من الذنوب والأدناس؟!»[٢].

١٠- قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (يوسف).

قال الطنطاوي ﷺ: «كيف تُبرّئ نفسك وهناك من هو خير منك؛ يوسف ﷺ يقول عن النساء: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (يوسف:٣٣)»[٣].

١١- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (طه).

---

١) الصارم المسلول (٣١/١).

٢) شجرة المعارف والأحوال (ص ٥١).

٣) نور وهداية، للطنطاوي (١٢٤-١٢٥).

قال ابن القيم رحمه الله: «فإذا كان هذا حال المُعرِض عنه، فكيف حال المُعَارِض له بعقله أو عقل من قَلَّده وأحسن الظن به؟! فكما أنه لا يكون مؤمنًا إلا من قَبِلَه وانقاد له، فمن أعرض عنه وعارضه من أبعد الناس عن الإيمان به»[1].

١٢- قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الروم).

قال السعدي رحمه الله: «فإذا كانت الأرض الخاشعة الخالية من كل نبت إذا أنزل الله عليها المطر اهتزت ورَبَت وأنبتت من كل زوج بهيج، واختلط نبتها، وكثرت أصنافه ومنافعه؛ جعله الله تعالى من أعظم الأدلة الدالة على سعة رحمته وكمال قدرته، وأنه سيُحيي الموتى للجزاء -فالدليل في القلب الخالي من العلم والخير حين يُنزل الله عليه غيث الوحي فيهتز بالنبات ويُنْبِت من كل زوج بهيج من العلوم المختلفة النافعة، والمعارف الواسعة، والخير الكثير، والبِرّ الواسع، والإحسان الغزير، والمحبة لله ورسوله، وإخلاص الأعمال الظاهرة والباطنة لله وحده لا شريك له، والخوف والرجاء، والتضرع والخشوع لله، وأنواع العبادات، وأصناف التَّقَرُّبات، والنُّصْح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وغير ذلك من العلوم والأعمال الظاهرة والباطنة، والفتوحات الربانية مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر-: أعظم من الأرض بكثير على سعة رحمة الله، وواسع جوده، وتنوع هِبَاته، وكمال اقتداره وعزته، وأنه يُحيي الموتى للجزاء، وأن عنده في الدار الأخرى من الخيرات والفضل ما لا يعلمه أحد غيره»[2].

---

١) الصواعق المرسلة (٣/١٧٢).

٢) المواهب الربانية (ص ٩٣).

١٣- قال تعالى: ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ (الأحزاب).

قال ابن القيم ﷺ: «فإذا سُئِل الصادقون وحُوسبوا على صدقهم، فما الظن بالكاذبين؟!»[١].

١٤- قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ (الأحزاب:٣٢).

إذا كان هذا الطمع في أمهات المؤمنين، فلا بد أن يكون في غيرهن بطريق الأولى؛ فإن الله اختار لنبيه أفضل النساء وأعفهن، ومع ذلك أمرهن بالحجاب ونهاهن عن الخضوع بالقول؛ صيانة لهن؛ فغيرهن أولى بالصيانة والتحفظ والبعد عن أسباب العهر والفتنة[٢].

١٥- قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ (الجمعة:٩).

قال السعدي ﷺ: «أي: اتركوه في هذه الحالة التي أُمِرتم بالمُضِيّ فيها إلى الصلاة؛ وإذا أُمر بترك البيع الذي ترغب فيه النفوس، وتحرص عليه، فترك غيره من الشواغل من باب أولى؛ كالصناعات وغيرها»[٣].

١٦- قال تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾ (الشمس).

---

١) إغاثة اللهفان (٨٣/١).

٢) ليدبروا آياته (١٧٤/٢، ١٧٥).

٣) تفسير ابن سعدي (ص ٨٦).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «إذا كان هذا عذابه لهؤلاء، وذنبُهم مع الشركِ عقرُ الناقة التي جعلها الله آية لهم، فمن انتهك محارم الله، واستخف بأوامره ونواهيه، وعقر عِبَادَه وسَفَك دماءهم، كان أشد عذابًا»[1].

١٧- قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾ (التكاثر).

إذا كانت الإقامة في القبر مجرد زيارة مع أنها قد تمتد آلاف السنين، فَبِم نَصِف إقامتنا في الدنيا التي لا تتجاوز عدد سنين؟! تأمل: ﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ (المؤمنون: ١١٣)، فيا طول حسرة المُفَرِّطين![2].

١٨- قال تعالى: ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ (الماعون).

قال الطبري ﷺ: «ويمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كلّ شيء منفعته؛ يقال للماء الذي ينزل من السحاب: ماعون»[3]، فإذا كانوا يمنعون ما لا يتضررون ببذله، فهم لما سواه أمنع.

الثاني: المُسَاوي[4]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨ ﴾ (النساء).

---

١) مجموع الفتاوى (٢٥٠/١٦).

٢) ليدبروا آياته (٣٢٧/١).

٣) تفسير الطبري (٦٣٤/٢٤).

٤) وهو: ما كان المسكوت عنه مساويًا للمنطوق في الحكم. انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٨٢)، المذكرة في أصول الفقه (ص ٢٨٤).

قال السعدي رحمه الله: «يُؤْخَذ من المعنى: أن كل من له تَطَلُّع وتَشَوُّف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر»[1].

٢- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (المائدة).

قال السعدي رحمه الله: «فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذُكِّر به، وأنه لابد أن يُبتلى بالخيانة، نسأل الله العافية»[2].

---

١) تفسير السعدي (ص ١٦٥)، وقد سبق في (ص ٣٦). مثالًا على دلالة الاقتضاء؛ فهو يصلح مثالًا لِكُلٍّ منهما باعتبار. ويمكن أيضًا أن يكون مثالًا لمفهوم الموافقة (الأَوْلَوي) بالنظر إلى أنه أرشد هنا إلى إعطاء من حضر وليس له حق في الميراث، كما أن هذا المال حق خاص للورثة، ومع ذلك أرشدنا إلى إعطاء من حضر وتَشَوَّفَت نفسه لهذا المال؛ فغيره من المال الذي لا يختص بمعين أَوْلَى أن يُعْطَى منه من حَضَر.

٢) تفسير السعدي (ص ٢٢٥).

٢- مفهوم المخالفة[١]، وهو أنواع:

الأول: مفهوم الحصر[٢]:

التطبيق:

قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإنسان).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «ومن طلب من الفقراء الدعاء أو الثَّناء، خرج من هذه الآية؛ فإن في الحديث الذي في سنن أبي داود: «**من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه**»[٣]؛ ولهذا كانت عائشة إذا أرسلت إلى قومٍ بهدية تقول للرسول: اسمع ما دَعَوا به لنا؛ حتى ندعو لهم بمثل ما دَعَوا ويبقى أجرنا على الله»[٤][٥].

---

١) وهو: إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ١٣٢).

٢) الحصر: إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت عنه بصيغة من صيغ الحصر.

٣) أصله مخرج في سنن أبي داود (١٦٧٢)، وصححه الألباني.

٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٠٦٢). وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٣٩): «إسناده جيد».

٥) مجموع الفتاوى (١١/ ١١١).

الثاني: مفهوم الصفة[1]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (آل عمران).

«دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًّا، فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيُه وخاب عمله، وكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء مُونِقَة بمنظرها ولا منفعة بثمرها؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**نعوذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع**»[2]»[3].

٢- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (القصص).

قال ابن هبيرة ﷺ: «إيثار ثواب الآجل على العاجل حالة العلماء؛ فمن كان هكذا فهو عالم، ومن آثر العاجل على الآجل فليس بعالم»[4].

---

١) وهو: تعليق الحكم على الذات بأحد الأوصاف. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ١٥٥).

٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما بلفظ: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع...» من حديث زيد بن أرقم ﷺ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٢٢). وفي الباب عن جماعة من الصحابة ﷺ.

٣) مفاتيح الغيب (٢٧٢/٨).

٤) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٧/٢).

٣- قال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سبأ: ٦).

قال ابن القيم رحمه الله: «وهذا دليل ظاهرٌ أن الذي نراه مُعارِضًا للنقل، ويُقَدِّم العقل عليه، ليس من الذين أوتوا العلم في قَبِيل ولا دَبِير، ولا قليل ولا كثير»[١].

٤- قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (المطففين).

قال ابن كثير رحمه الله: «قال الإمام أبو عبد الله الشافعي رحمه الله: «في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ».

وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحُسْن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية؛ كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة:٢٢-٢٣)»[٢].

١) الصواعق المرسلة (٨٥١/٣).

٢) تفسير ابن كثير (٣٥١/٨).

ثانيًا: العموم والخصوص[1]:

ويلحق بذلك:

حَمْل المُشْتَرَك[2] على معنييه أو معانيه، ومَرْجِعُ الاستثناء، وذِكْرُ العام بعد الخاص، والعكسُ.

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ (الفاتحة)[3].

في وجه ذكر الاستعانة بعد العبادة دون غيرها؛ قال ابن القيم ﷺ: «الناس في هذين الأصلين -وهما العبادة والاستعانة- أربعة أقسام: أَجَلّها وأفضلها: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مُرَادِهم، وطلبهم منه أن يعينهم عليها، ويوفقهم للقيام بها؛ ولهذا كان من أفضل ما يُسْأَل الرب ﷻ الإعانة على مرضاته،

---

١) العام: ما يستغرق جميع ما يصلح له بحسب وضع واحد، دفعة بلا حصر. انظر: نشر البنود (١/ ٥١٢)، معالم أصول الفقه (ص٤١٢).

ويقابله: (الخاص) فهو كل ما ليس بعام. وعرفه المَحَلِّي بقوله: «ما لا يتناول شيئين فصاعدًا من غير حصر». انظر: شرح الورقات للمَحَلِّي (ص ١٣٠). أو «ما لا يقتضي استغراق الجنس». انظر: الأنجم الزاهرات على حَلّ ألفاظ الورقات (ص ١٤٥).

٢) المشترك: هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين أو أكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٣٧٧).

٣) تَعَلُّق هذا المثال بـ(العموم والخصوص) من جهتين:

الأولى: أنه حَذَف مُتَعَلَّق العبادة والاستعانة؛ وذلك يفيد العموم؛ فيدخل في ذلك أنواع العبادة والاستعانة؛ حيث لم يخص نوعًا بعينه.

الثانية: أنه عطف الاستعانة على العبادة، ومعلوم أن الاستعانة نوع من العبادة؛ وذلك لأهميتها.

وهو الذي علمه النبي ﷺ لِحِبِّه معاذ بن جبل رضي الله عنه، فقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، فلا تَنْسَ أن تقول دُبُر كل صلاة: اللَّهُمَّ أعني على ذِكْرِك وشُكرك وحُسْن عبادتك»[1].

فأنفع الدعاء: طلب العَون على مرضاته، وأفضل المواهب: إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دَفْع ما يُضَاده، وعلى تكميله وتيسير أسبابه، فتأملها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قَدَّس الله رُوحه: تَأَمَّلْتُ أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيتُه في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾»[2].

٢- قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧١﴾ (الإسراء).

قال ابن القيم رحمه الله أخذًا من العموم في قوله: ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾[3]: «فما ظن من اتخذ غير الرسول إمامَهْ، ونبذ سنته وراء ظهره وجعل خواطر الرجال وآراءها بين عينيه وأمامه، فسيعلم يوم العَرْض أي بضاعة أضاعْ، وعند الوزن ماذا أحضر من الجواهر أو خُرْثِيّ[4] المتاعْ» ا.هـ[5].

---

١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣) بلفظ مقارب. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، وصحيح سنن النسائي، والأرنؤوط في تعليقه على سنن أبي داود.

٢) مدارج السالكين (١/٩٩-١٠٠).

٣) فـ (إمام) مفرد مضاف إلى معرفة (الضمير) فيعم.

٤) أي: سَقَطه.

٥) تهذيب سنن أبي داود لابن القيم (١/٧).

٣- قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (الكهف:٣٩).

قال ابن هبيرة ﷺ: «ما قال: (ما شاء الله كان) ولا: (يكون)، بل أطلق اللفظ؛ لِيَعُم الماضي والمستقبل والراهن»[١].

٤- قال تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ (مريم).

في وجه تخصيص السلام عليه في هذه المواطن الثلاثة؛ قال ابن كثير ﷺ: «قال سفيان بن عيينة ﷺ: أَوْحَش ما يكون الخَلْق في ثلاثة مواطن: يوم وُلِد؛ فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت؛ فيرى قومًا لم يكن عَايَنَهم، ويوم يُبعَث؛ فيرى نفسه في مَحْشَر عظيم؛ قال: فأكرم الله فيها يحي بن زكريا، فخصه بالسلام عليه»[٢].

٥- قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (الأنبياء).

في وجه تخصيص علمه بالجهر من القول مع أن ذلك لا يخفى؛ قال ابن هبيرة ﷺ: «المعنى أنه إذا اشتدت الأصوات وتَغَالَبَت، فإنها حالة لا يسمع فيها الإنسان، والله ﷻ يسمع كلام كل شخص بعينه، ولا يشغله سمعٌ عن سمع»[٣].

---

١) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٧/٢).

٢) تفسير ابن كثير (٢١٧/٥). ووجه تَعَلُّق ذلك بموضوع (العموم والخصوص) من جهة كونه قد خَصَّ هذه الأوقات الثلاثة.

٣) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٥/٢). وعلاقة هذا المثال بالباب: من جهة تخصيص علمه بحالة الجهر من القول.

٦- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (النمل).

قال السبكي ﷺ: «فإن الله تعالى آتى داود وسليمان من نعم الدنيا والآخرة ما لا يَنْحَصِر، ولم يذكر من ذلك -في صدر الآية- إلا العلم؛ ليبين أنه الأصل في النعم كلها»[١].

٧- قال تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الواقعة).

قال ابن القيم ﷺ: «تَذْكِرَة تُذْكَر بها الآخرة، ومنفعة للنازلين بالقَوَاءِ -وهم: المسافرون؛ يقال: أقوى الرجل: إذا نزل بالقِيِّ والقَوَى؛ وهي الأرض الخالية- وخص المُقْوِين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين؛ تنبيهًا لعباده -والله أعلم بمراده من كلامه- على أنهم كلهم مسافرون، وأنهم فى هذه الدار على جناح سفر، ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين»[٢].

٨- قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ (الكوثر).

قال السعدي ﷺ: «خص هاتين العبادتين بالذِّكْر؛ لأنهما من أفضل العبادات وأَجَلّ القُرُبَات؛ ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تَقَرُّب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جُبِلَت النفوس على محبته والشح به»[٣].

---

١) فتاوى السبكي (٧٣/١).

٢) طريق الهجرتين (١٤١/١-١٤٢).

٣) تفسير السعدي (ص ٩٣٥).

٩- قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (الفلق:٥).

قال ابن القيم ﷺ: «العائن حاسد خاص، وهو أضر من الحاسد؛ ولهذا -والله أعلم- إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن؛ لأنه أعم، فكل عائن حاسد ولا بد، وليس كل حاسد عائنًا، فإذا استعاذ من شر الحسد دخل فيه العين، وهذا من شمول القرآن الكريم وإعجازه وبلاغته»[١].

ثالثًا: الإطلاق والتقييد[٢]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (الفاتحة:٥).

قال ابن القيم: «وصاحب التَّعَبُّد المُطْلَق ليس له غرض في تَعَبُّدٍ بعينه يُؤْثِره على غيره، بل غرضه تَتَبُّع مرضاة الله تعالى أين كانت، فمدار تَعَبُّده عليها، فهو لايزال مُتَنَقِّلًا في منازل العبودية، كلما رُفِعَت له مَنْزِلَة، عمل على سَيرِه إليها، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى، فهذا دأبه في السَّيْر حتى ينتهي سَيْره؛ فإن رأيت العلماء رأيته معهم، وإن رأيت العُبَّاد رأيته معهم، وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم... فهذا هو العبد المطلق، الذي لم تملكه الرسوم، ولم تُقيده القيود، ولم يكن عمله على مُرَاد نفسه، وما فيه لذتها وراحتها من العبادات، بل هو على مُرَاد ربه ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه.

---

١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٣).

٢) المُطْلَق: هو المُتَناوِل لواحدٍ لا بعينه باعتبار حقيقةٍ شاملةٍ لجنسه. انظر: روضة الناظر (٢/ ١٠١).
والمُقَيَّد: هو المُتَناوِل لِمُعَيَّن أو غير مُعَيَّن موصوف بأمر زائد على الحقيقة. انظر: روضة الناظر (٢/ ١٠٢).

فهذا هو المُتَحَقِّق بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ حقًّا، القائم بهما صدقًا، مَلْبَسه ما تهيأ، ومأكله ما تيسر، واشتغاله بما أمر الله به في كل وقت بوقته، ومجلسه حيث انتهى به المكان ووجده خاليًا، لا تملكه إشارة، ولا يتعبده قَيْد، ولا يستولي عليه رَسْم، حُرٌّ مُجرد، دائر مع الأمر حيث دار، يَدِين بدين الآمر أَنَّى توجهت ركائبه، ويدور معه حيث استقلت مَضَارِبه، يَأْنَس به كل مُحِق، ويستوحش منه كل مُبْطِل؛ كالغيث حيث وقع نفع، وكالنخلة لا يسقط ورقها، وكلها منفعة حتى شوكها، وهو موضع الغِلْظَة منه على المخالفين لأمر الله، والغضب إذا انْتُهِكَت محارم الله.

فهو لله وبالله ومع الله، قد صَحِب الله بلا خَلْق، وصَحِب الناس بلا نَفْس. بل إذا كان مع الله عَزَل الخلائق عن البَيْن وتَخَلَّى عنهم، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتَخَلَّى عنها، فواهًا له! ما أغربه بين الناس! وما أشد وحشته منهم! وما أعظم أُنسه بالله وفرحه به، وطمأنينته وسكونه إليه»[1].

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ (الانفطار).

قال ابن القيم رحمه الله: «لا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾، مختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دُورِهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دُورِهم الثلاثة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بِرّ القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تبارك وتعالى ومحبته، والعمل على موافقته»[2].

---

١) مدارج السالكين (١/ ١١١).

٢) الجواب الكافي (ص ١٢١).

رابعًا: ما يُسْتَفَاد من بعض القواعد في التفسير[1]؛ مثل:

١- قاعدة: «عَسَى» من الله واجبة:

توضيح القاعدة:

أي أن «عَسَى» إذا جاءت من قول الله تعالى، فإن ذلك يعني أنها مُتَحَقِّقَة الوقوع؛ وذلك جَرْيًا على عادة العرب؛ حيث إن العظيم منهم يُخرج الوعد بمثل هذه العبارة وهو يُريد تحقيقه.

مع أن أصل معناها التَّرَجِّي، لكنه غير مُراد هنا[2].

التطبيق:

قال تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٍ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (المائدة).

قال الشنقيطي ﷺ: «وبَيَّن في هذه الآية: أن تلك الدوائر التي حافظوا من أجلها على صداقة اليهود، أنها لاتدور إلا على اليهود والكفار، ولا تدور على المسلمين بقوله: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٍ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الآية. و «عَسى» من الله نافذة؛ لأنه العظيم الذي لا يُطْمِع إلا فيما يُعْطِي»[3].

---

١) هي: الأحكام الكُلية التي يُتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم، ومعرفة كيفية الاستفادة منها. قواعد التفسير (١/٣٠).

٢) انظر: قواعد التفسير (١/ ٢٨٧-٢٨٨).

٣) أضواء البيان (٢/ ١٣٤).

٢- الحُكْم المُعَلَّق على وصف يزيد بزيادته وينقص بنقصانه[١]:

توضيح القاعدة:

إذا وقع الحمد أو الذم أو الوعد أو الوعيد على جِنْسِ فِعْلٍ من الأفعال أو وَصْف من الأوصاف، فإنه يحصل للمُكَلَّف من ذلك الحمد أو الذم أو الجزاء بقدر نصيبه من ذلك الفعل أو الوصف ومدى تَحَقُّقِه فيه، فيزداد بزيادته وكماله، وينقص بنقصه وضعفه، وينعدم بانعدامه وزواله[٢].

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ (آل عمران).

قال السعدي رحمه الله: «دلَّت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحبوبات يكون بِرُّه، وأنه يَنْقُص من بِرِّه بحسب ما نقص من ذلك»[٣].

٢- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ (آل عمران).

فللعبد من الرحمة بحسب ما يكون له من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

٣- قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ (آل عمران).

---

١) انظر: قواعد التفسير (٢/ ٦٢٩).

٢) السابق (٢/ ٦٢٩).

٣) تفسير السعدي (ص ١٣٨).

قال ابن القيم ﷺ: «للعبد من العلوّ بحسب ما معه من الإيمان»[1].

٤- قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (آل عمران).

قال ابن القيم ﷺ: «وعلى قَدْر الشرك يكون الرُّعب، فالمشرك بالله أشد شيء خوفًا ورعبًا» اهـ[2].

٥- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ (النساء).

قال ابن القيم ﷺ: «والتحقيق:... أن انتفاء السبيل عن أهل الإيمان الكامل، فإذا ضعف الإيمان، صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب مانقص من إيمانهم، فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى.

فالمؤمن عزيز غالب مُؤَيَّد منصور مكفي مدفوع عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه من بأقطارها؛ إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته ظاهرًا وباطنًا؛ وقد قال تعالى للمؤمنين: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (آل عمران)»[3].

---

١) إغاثة اللهفان (٢/١٨١).

٢) زاد المعاد (٣/٢٠٣).

٣) إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٢- ١٨٣).

٦- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (المائدة:٦٧).

قال ابن القيم ﷺ: «وهكذا المُبَلِّغون عنه من أمته؛ لهم من حِفْظ الله وعِصْمته إيَّاهُم بِحَسب قيامهم بِدِينِهِ وتبليغهم له» اهـ[١].

٧- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٦).

فبقدر الإقبال بالأسْمَاع على الوحي والهدى تكون الاستجابة.

٨- قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الأنعام).

«دلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به»[٢].

٩- قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأعراف).

قال ابن القيم ﷺ: «فيه تنبيه ظاهر على أن فِعْل المأمور به هو الإحسان المطلوب منكم، ومطلوبكم أنتم من الله هو رحمته، ورحمته قريب من المحسنين الذين فعلوا ما أُمروا به من دعائه خوفًا وطمعًا، فَقُرْب مطلوبكم منه -وهو الرحمة-

---

١) جلاء الأفهام (ص٤١٥).

٢) تفسير السعدي (ص ٢٧٩).

بحسب أدائكم لمطلوبه منكم وهو الإحسان الذي هو في الحقيقة إحسان إلى أنفسكم؛ فإن الله تعالى هو الغني الحميد، وإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم»[1].

١٠- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأنفال).

قال ابن القيم ﷺ: «الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ولرسوله ﷺ، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة، فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مُشْتَرَكَة بينه وبين أرذل الحيوانات؛ فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا.

فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان؛ ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ؛ فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول ﷺ»[2].

١١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأنفال).

قال ابن القيم ﷺ: «ومن الفرقان: النور الذي يُفَرِّق به العبد بين الحق والباطل، وكلما كان قلبه أقرب إلى الله كان فرقانه أتم» اهـ[3].

---

١) بدائع الفوائد (٣/ ١٧).

٢) الفوائد (ص ٨٨).

٣) أعلام الموقعين (١٩٩/٤).

١٢- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (الأنفال).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «أي: الله كافيك، وكافي من اتبعك من المؤمنينَ، فلو كانت كِفَايَته للْمُؤْمِنِين المُتبعين للرسول؛ سَوَاء اتَّبعُوهُ أو لم يتبعوه لم يكن للإيمَان واتِّبَاع الرَّسُول ثَمَّ أثر في هذه الكِفَايَة، ولا كان لتخصصهم بذلك معنى، وكان هذا نَظِير أن يقال: هو خالقك وخالق من اتبعك من المؤمنينَ، ومعْلُوم أن المُرَاد خلاف ذلك... والله تعالى إذا وعد على العمل بوعد أو خص أهله بكرامة فلا بد أن يكون بين وجود ذلك العمل وعَدَمه فَرْق في حُصُول تلك الكرامة، وإن كان قد يحصل نظيرها بسبب آخر، فقد يَكْفِي الله بعض من لم يتوكل عليه كالأطفال، لكن لا بد أَن يكون للمتوكل أثر في حصول الكفاية الحاصلة للمتوكلين، فلا يكون ما يحصل من الكفاية بالتوكل حاصلا مُطلقًا وإن عدم التَّوَكُّل» اهـ[1].

١٣- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (التوبة).

قال ابن كثير ﷺ: «فكلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله، وتوكل على الله، فتح الله عليه من البلاد، واسترجع من الأعداء بحسبه، وبقدر ما فيه من ولاية الله»[2].

---

١) جامع الرسائل (٨٩/١، ٩٠)، وفي هذا المعنى قوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ (الزمر: ٣٦)، فالعبد هنا مفرد مضاف إلى معرفة -الضمير- وذلك بمعنى العموم، ويوضحه قراءة حمزة والكسائي: {أليس الله بكافٍ عِبَادَه}. وذلك يدل على أن للعبد من الكفاية بحسب ما يكون له من تحقيق العبودية.

٢) تفسير ابن كثير (٢٣٩/٤).

١٤- قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (يونس).

فبقدر ما يكون للعبد من الإيمان والتقوى يكون له من ولاية الله تعالى، وكذلك يكون انتفاء الخوف والحزن عنه بحسب ما له من ولاية الله ﷻ التي مبناها على الإيمان والتقوى.

١٥- قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧).

فعلى قدر تحقيق الشكر تكون الزيادة؛ فـ «الشكر جَلَّاب النعم، ومُوْجِب للمزيد»[١].

١٦- قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ (طه).

قال الشنقيطي ؒ: «يعم الشرك وغيره من المعاصي، وخيبة كل ظالم بقدر ما حمل من الظلم»[٢].

١٧- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ (طه).

قال ابن القيم ؒ: «فإنه سبحانه رتَّب المعيشة الضَّنك على الإعراض عن ذكره، فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تنعَّم في الدُّنيا بأصناف النِّعم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب، والأماني الباطلة

١) ما بين الأقواس من كلام ابن القيم في الوابل الصيب (ص٧٩).

٢) أضواء البيان (٤/ ٦٤٤).

والعذاب الحاضر ما فيه، وإنَّما يواريه عنه سكرات الشَّهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة، وإن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر، فسكر هذه الأمور أعظم من سكر الخمر، فإنه يُفيق صاحبه ويصحو، وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحو صاحبه إلا إذا كان صاحبه في عسكر الأموات.

فالمعيشة الضَّنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ في دنياه وفي البرزخ ويوم معاده، ولا تقر العين، ولا يهدأ القلب، ولا تطمئن النفس؛ إلا بإلاهها ومعبودها الذي هو حق، وكل معبود سواه باطل، فمن قرَّت عينه بالله قرَّت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطَّعت نفسه على الدنيا حسرات، والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن به وعمل صالحًا»[1].

١٨- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ (الحج).

قال ابن القيم ﷺ: «وفي القراءة الأخرى: {إن الله يَدْفَع}[2]، فَدَفْعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وأكثر ذِكْرًا، كان دَفْع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نَقَص نُقِص؛ ذِكْرًا بِذِكْر، ونسيانًا بنسيان»[3].

١) الجواب الكافي (ص ١٢٠).

٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٢٦).

٣) الوابل الصيب (ص ٧٢). وانظر أيضًا: إغاثة اللهفان (٢/١٨١)، بدائع الفوائد (٢/٢٤٥).

١٩- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت:٦٩).

قال ابن القيم ﵀: «علَّق سبحانه الهداية بالجهاد؛ فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا؛ فمن جاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سُبُل رضاه المُوصِلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عَطَّل من الجهاد»[١].

٢٠- قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ (لقمان).

فللعبد من الاهتداء بالقرآن بقدر ما يتحقق فيه من وصف الإحسان؛ كما يكون له من الهدى بحسب ما يكون عليه من الاتصاف بالأوصاف المذكورة للمحسنين[٢].

٢١- قال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٥ ﴾ (محمد).

قال ابن القيم ﵀: «فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم، التي هي جُنْد من جنود الله، يحفظهم بها ولا يفردها عنهم ويَقْتَطِعها عنهم فيبطلها عليهم، كما يَتِرُ الكافرين والمنافقين أعمالهم؛ إذ كانت لغيره ولم تكن مُوَافِقَة لأمره»[٣].

---

١) الفوائد (ص ٥٩).

٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٣٣٠). وكذا يقال في نظائرها، كما في أول سورة البقرة وغيرها.

٣) إغاثة اللهفان (٢/١٨٣).

٢٢- قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ (الحشر).

قال ابن عاشور ﵀: «فمن وُقي شُحَّ نفسه؛ أي: وُقِي من أن يكون الشُّح المذموم خُلُقًا له؛ لأنه إذا وُقِي هذا الخُلُق سَلِم من كل مَوَاقع ذَمِّه، فإن وُقِي من بعضه كان له من الفلاح بمقدار ما وُقِيَه» اهـ[١].

٢٣- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ (المنافقون).

قال ابن القيم ﵀: «فله من العِزّة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حَظ من العلو والعِزّة ففي مُقَابلة ما فاته من حقائق الإيمان؛ عِلْمًا وعمًلا، ظاهرًا وباطنًا» اهـ[٢].

٢٤- قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢، ٣).

فيكون للعبد من الفرج والخروج من الشدة وحصول الرزق، بحسب تقواه[٣]

٢٥- قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ (الطلاق: ٣).

فيكون للعبد من الكفاية بحسب توكله[٤].

---

١) التحرير والتنوير (٢٨/٩٥).

٢) إغاثة اللهفان (٢/١٨١).

٣) جامع الرسائل لابن تيمية (١/٨٨).

٤) انظر: السابق.

٢٦- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ (الليل).

«ودخول النَّقْص بحسب نُقصانها أو بعضها؛ فمن الناس من يكون قوة إعطائه وبذله أتم من قوة انكفافه وتركه، فقوة الترك فيه أضعف من قوة الإعطاء، ومن الناس من يكون قوة الترك والانكفاف فيه أتم من قوة الإعطاء والمنع، ومن الناس من يكون فيه قوة التصديق أتم من قوة الإعطاء والمنع، فَقُوَّتُه العلمية والشُّعُورية أتم من قوته الإرادية وبالعكس، فيدخل النقص بحسب مانقص من قوة هذه القوى الثلاث، ويفوته من التيسير لليُسْرَى بحسب ما فاته منها، ومن كملت له هذه القوى يُسِّر لكل يُسرى»[1].

٢٧- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ (الشرح).

قال ابن القيم ﷺ: «شَرَح الله صدر رسوله أَتَمَّ الشَّرْح، ووَضَع عنه وِزْرَه كل الوضع، وَرَفَع ذِكْره كل الرفع، وجعل لأتباعه حظًّا من ذلك؛ إذ كل مَتْبُوع فلأتباعه حظ ونصيب من حظ متبوعهم في الخير والشر؛ على حسب اتباعهم له.

فأَتْبَعُ الناس لرسوله ﷺ أشرحهم صدرًا، وأَوْضَعهم وِزْرًا، وأرفعهم ذِكْرًا، وكلما قويت متابعته علمًا وعملًا وحالًا وجهادًا، قويت هذه الثلاثة حتى يصير صاحبُها أشرحَ الناس صدرًا، وأرفعهم في العالمين ذِكْرًا.

وأما وَضْع وِزْره فكيف لا يُوضَع عنه ومن في السموات والأرض ودَوَابّ البر والبحر يستغفرون له؟!»[2].

---

١) التبيان في أقسام القرآن (ص ٦١).

٢) الكلام على مسألة السماع (ص٤٠١-٤٠٢).

٣- زيادة المبنى لزيادة المعنى[١]:

توضيح القاعدة:

«جميع ألفاظ القرآن دالة على معانٍ بليغة، وحِكَم وأحكام بديعة، ومن هنا فإن القرآن مُنَزَّه عن أن يقع فيه لفظ لا معنى له.

ومن ثَمّ فإن أي زيادة تَطْرَأ على اللفظ في كتاب الله تعالى، فإنما تدل على معنى زائد على ما يدل عليه اللفظ دونها.

وسواء في ذلك ما إذا كانت هذه الزيادة حرفًا، أم كانت زيادة في وزن الكلمة، أو تضعيفها»[٢].

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ (البقرة).

قال السعدي ﷺ: «وفي الإتيان بـ «كسب» في الخير الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي منه، بل بمجرد نية القلب، وأتى بـ «اكتسب» في عمل الشر؛ للدلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمله ويحصل سعيه»[٣].

---

١) انظر: قواعد التفسير (١/ ٣٥٦).

٢) السابق (١/ ٣٥٦).

٣) تفسير السعدي (ص ١٢٠). وهذا الملحظ المُشَار إليه ليس محل اتفاق، كما هو الشأن في عامة هذه النكات واللطائف البلاغية. وللوقوف على ما قد يَرِد على هذه المعاني المُسْتَخْرَجة من الفروقات اللفظية ونحوها: انظر ما أورده القاسمي في تفسيره (٢/٢٤٢- ٢٤٤) حول هذا المعنى.

٢- قال تعالى في حكاية قول الخضر لموسى ﷺ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ (الكهف)، ثم قوله بعد ذلك في قصة قتل الغلام: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ (الكهف).

قال الغرناطي ﷺ: «للسائل أن يسأل عن الفَرْق المُوجِب لزيادة «لك» في هذا القول الثاني؟

والجواب: أن الخضر قد كان قال لموسى حين قال له موسى ﷺ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ (الكهف)، فلما كان من موسى عند خرق السفينة ما كان من الإنكار بقوله: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ (الكهف)، ذَكَّره الخضر بما كان قد قاله له من غير أن يزيده على إيراد ما كان قد قاله، فقال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾، فاعتذر موسى ﷺ بقوله: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾، فلما وقع منه بعد ذلك إنكار قتل الغلام بقوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، وأبلغ في وصف الفعلة بقوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾؛ قابَل الخضر ذلك بتأكيد الكلام المُتقدِّم، فقال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾، فالضمير المجرور بيانٌ جيء به تأكيدًا؛ لِيُقابَل بالكلام ما وقع جوابًا له من قول موسى ﷺ زيادةً للتناسب»[1].

---

١) ملاك التأويل (ص ٢٢٣).

٤- حذف المُقْتَضَى -المُتَعَلَّق- يفيد العموم النِّسْبِي[1]:

توضيح القاعدة:

«المُقْتَضَى» بالفتح هو المحذوف، أما بالكسر فهو الكلام المُحْتَاج إلى إضمار.

وقولنا: «يفيد العموم النسبي»؛ أي: يفيد تعميم المعنى المُنَاسِب له[2].

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (المجادلة).

حيث لم يُقَيِّد ذلك الفَسْح بكونه في الرزق أو الصدر أو القبر أو الجنة أو غير ذلك.

ومن هنا «دل قوله تعالى: ﴿ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ ﴿١١﴾ ﴾ (المجادلة)، على أن كل من وَسَّع على عباد الله أبواب الخير والراحة وَسَّع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يُقيد الآية بالتفَسُّح والتوسُّع في المجلس، بل المُراد منه إيصال أي خير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه»[3].

---

١) انظر: قواعد التفسير (٢/ ٥٩٧).

٢) السابق (٢/ ٥٩٧).

٣) مفاتيح الغيب (٢٩/٤٩٤).

٢- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (الانفطار).

حيث لم يُقيد هذا النعيم هنا في كونه في الدنيا أو البرزخ أو الآخرة، مع أن ما بعده مُشْعِر أنه في الآخرة.

قال ابن القيم ﷺ: «لا تحسب أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دُورهم الثلاثة كذلك -أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار- فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب؟! وهل العذاب إلا عذاب القلب؟ وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن و ضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة، وتعلقه بغير الله، وانقطاعه عن الله، بكل وادٍ منه شعبة؟! وكل شيء تعلق به وأحبه من دون الله فإنه يسومه سوء العذاب»[1].

٣- قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ (الإخلاص).

حيث لم يقيد أحديته تعالى بذاته، أو صفاته... إلخ.

قال السعدي ﷺ: «أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المُقدَّسَة، الذي لا نظير له ولا مثيل»[2].

---

١) الجواب الكافي (ص ٧٦).

٢) تفسير السعدي (ص ٩٣٧).

٥- الأوصاف المُخْتَصَّة بالإناث إذا أُريد بها الوصف، جُرِّدت من التاء، وإذا أُريد به المُبَاشَرة، أُلحِقَت بها التاء[١]:

التطبيق:

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ (الحج: ٢).

«فإن قلت: لم قيل: ﴿ مُرْضِعَةٍ ﴾ دون (مُرضع)؟

قلت: المُرضعة التي هي في حال الإرضاع مُلْقِمَة ثَديَها الصبي، والمُرضِع: التي من شأنها أن تُرضع، وإن لَم تُباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: ﴿ مُرْضِعَةٍ ﴾؛ ليدل على أن ذلك الهَول إذا فُوجئت به هذه وقد أَلْقَمَت الرضيع ثديها، نزعته عن فيه؛ لِمَا يلحقها من الدَّهْشَة»[٢].

---

١) انظر: قواعد التفسير (١/ ٤٤٢). ولما كانت القاعدة من الوضوح بمكان لم نحتج إلى شرحها، والمثال يزيدها وضوحًا.

٢) الكشاف (٣/١٤٢)، وانظر: أضواء البيان (٥/ ٨).

خامسًا: قواعد قرآنية[1]:

١- قاعدة: «من تَرَك شيئًا لله عَوَّضَه الله خيرًا منه»[2]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الأنعام).

قال ابن كثير ﷺ: «وكان هذا مُجَازَاة لإبراهيم ﷺ حين اعتزل قومه وتركهم، ونَزَح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبًا إلى عبادة الله في الأرض، فَعَوَّضَه الله ﷻ عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صُلْبه على دينه؛ لِتَقَرَّ بهم عينه؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ (مريم)، وقال ها هنا: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾»[3].

قال السعدي ﷺ: «ولما كان مُفَارَقة الإنسان لوطنه ومَأْلَفِه وأهله وقومه من أشق شيء على النفس لأمور كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يَتَعَزَّز بهم ويتكثر، وكان من تَرَك شيئًا لله عَوَّضَه الله خيرًا منه، واعتزل إبراهيم قومه- قال الله في حقه:

---

١) والمقصود بها: أنها أحكام كلية قطعية دل عليها القرآن الكريم؛ فهي مأخوذة من القرآن، بخلاف قواعد التفسير كما عرفت من تعريفها سابقًا. فقواعد التفسير من قبيل الوسائل والآلات التي نتوصل بواسطتها إلى المراد، وأما القواعد القرآنية فمن قبيل النتائج.

٢) وقد ذكر السعدي ﷺ في القواعد الحسان (ص ١٦٤) أمثلة متنوعة لهذه القاعدة.

٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٧).

﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا ﴾ -من إسحاق ويعقوب- ﴿ جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴾؛ فحصل له هبة هؤلاء الصالحين المُرسَلين إلى الناس الذين خَصَّهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين»[1].

٢- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾ (النحل).

قال ابن كثير ﷺ: «فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم، فعوَّضهم الله خيرًا منها في الدنيا؛ فإن من ترك شيئًا لله، عَوَّضَه الله بما هو خير له منه، وكذلك وقع، فإنهم مَكَّن الله لهم في البلاد وحَكَّمَهم على رقاب العباد، فصاروا أمراء حُكَّامًا، وكل منهم للمتقين إمامًا»[2].

٣- قال تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ ﴾ (النور).

قال السعدي ﷺ: «فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله بسبب ترك المُحَرَّم الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئًا لله عَوَّضَه الله خيرًا منه، ومن غَضّ بصره عن المُحَرَّم أنار الله بصيرته»[3].

---

١) تفسير السعدي (ص ٤٩٤).

٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٢/ ٥٧٣).

٣) تفسير السعدي (ص٥٦٦)، وانظر في هذا المعنى: مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٩٦)، الفتاوى الكبرى (٢٨٧/١)، مختصر الفتاوى المصرية (٣١/١).

٤- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ (النور).

قال ابن القيم ﷺ: «قال تعالى عقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وسِرّ هذا الخبر: أن الجزاء من جنس العمل، فمن غَضّ بصره عما حَرَّم الله ﷻ عليه، عَوَّضَه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المُحَرَّمَات، أَطْلَق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يَرَه من أَطْلَق بصره ولم يغضه عن مَحَارِم الله تعالى»[1].

٥- قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (السجدة).

قال ابن رجب ﷺ: «فإن المُتَهَجِّد قد ترك لذة النوم بالليل ولذة التَّمَتّع بأزواجه؛ طلبًا لما عند الله ﷻ، فَعَوَّضَه الله تعالى خيرًا مما تركه وهو الحُور العِين في الجنة»[2].

---

١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٤٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢١/ ٢٥٧-٢٥٨).

٢) تفسير ابن رجب (٢/ ١٨٤).

٦- قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (ص).

قال السعدي رحمه الله: «من ترك شيئا لله عَوَّضَه الله خيرًا منه؛ فسليمان عليه السلام عَقَر الجِيَاد الصَّافِنَات المحبوبة للنفوس على هذا التفسير تقديمًا لمحبة الله، فَعَوَّضَه الله خيرًا من ذلك، بأن سَخَّر له الريح الرُّخَاء اللَّيِّنَة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غُدُوُّها شهر، ورَوَاحُها شهر، وسَخَّر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون»[1].

٧- قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المجادلة).

قال ابن كثير رحمه الله: «وفي قوله تعالى: ﴿ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴿٢٢﴾ ﴾، سِرٌّ بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله، عَوَّضَهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المُقيم، والفوز العظيم والفضل العميم»[2].

---

١) تفسير السعدي (ص ٧١٢)، وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٧٣)، مدارج السالكين (٢/ ٤٢٦).

٢) تفسير ابن كثير (٨/٥٥).

٢- قاعدة: «الجزاء من جنس العمل»:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (الفاتحة).

قال ابن القيم ﷺ: «**من هُدِي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم**، الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، **هُدِي هناك إلى الصراط المستقيم**، المُوصِل إلى جنته ودار ثوابه، **وعلى قَدْر ثُبوت قَدَم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثُبُوت قَدَمِه على الصراط المَنْصُوب على مَتْن جهنم، وعلى قدر سَيْره على هذه الصراط يكون سَيْره على ذاك الصراط**؛ فمنهم من يَمُر كالبرق، ومنهم من يَمُر كالطَّرْف، ومنهم من يَمُر كالريح، ومنهم من يَمُر كشَدّ الرِّكَاب، ومنهم من يسعى سَعْيًا، ومنهم من يمشي مَشْيًا، ومنهم من يَحْبُو حَبْوًا، ومنهم المَخْدُوش المُسَلَّم، ومنهم المُكَرْدس في النار، فلينظر العبد سَيْرَه على ذلك الصراط من سَيْرِه على هذا، حَذْو القُذَّة بالقُذَّة، جزاء وفاقًا: ﴿ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٩٠ ﴾ (النمل)»[1].

٢- قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦ ﴾ (الأعراف).

قال ابن القيم ﷺ: «وإنما اختص أهل الإحسان بقُرْب الرحمة منهم؛ لأنها إحسان من الله أرحم الراحمين، وإحسانه تعالى إنما يكون لأهل الإحسان؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته، وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لما بَعُد عن الإحسان بَعُدت عنه الرحمة بُعدًا ببُعْد، وقُرْبًا بِقُرْب، فمن تَقَرَّب بالإحسان تَقَرَّب الله إليه برحمته، ومن تباعد

---

١) مدارج السالكين (١/ ٣٣).

عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته، والله سبحانه يُحِب المُحسنين، ويُبْغِض من ليس من المُحسنين، ومن أحبه الله فرحمته أقرب شيء منه، ومن أبغضه فرحمته أبعد شيء منه» اهـ[1].

٣- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (الأعراف).

قال ابن كثير ﷺ: «أخبر تعالى هاهنا أنهم أخذتهم الرجفة، وذلك كما أرجفوا شُعيبًا وأصحابه وتَوَعَّدُوهم بالجَلَاء.

كما أخبر عنهم في سورة هود فقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (هود)، والمُنَاسَبة في ذلك والله أعلم: أنهم لما تَهَكَّموا بنبي الله شعيب في قولهم: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ (هود)، فجاءت الصيحة فأسكتتهم.

وقال تعالى إخبارًا عنهم في سورة الشعراء: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ (الشعراء)، وماذاك إلا لأنهم قالوا له في سِيَاق القصة: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (الشعراء)، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظُّلَّة، وقد اجتمع عليهم ذلك كله»[2].

---

١) بدائع الفوائد (١٧/٣).

٢) تفسير ابن كثير (٤٤٨/٣-٤٤٩).

٤- قال تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (التوبة).

قال الشنقيطي ﷺ: «عاقب الله في هذه الآية الكريمة المُتَخَلِّفين عن غزوة تبوك بأنهم لا يُؤْذَن لهم في الخروج مع نبيه ﷺ، ولا القتال معه ﷺ؛ لأن شُؤْم المُخَالَفة يُؤَدِّي إلى فَوَات الخير الكثير»[١].

٥- قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل).

قال ابن القيم ﷺ: «**وقد ضَمِن الله سبحانه لكل من عمل صالحًا أن يُحييه حياة طيبة**، فهو صادق الوعد الذي لا يُخْلِف وعده، وأي حياة أطيب من حياة من اجتمعت همومه كلها وصارت هَمًّا واحدًا في مَرْضَاة الله، ولم يتشعب قلبه؟! بل أقبل على الله، واجتمعت إرادته وأفكاره التي كانت مُتَقَسِّمة بكل واد منها شُعبة على الله، فصار ذِكْره بمحبوبه الأعلى، وحُبّه والشوق إلى لقائه والأُنْس بقُربه هو المُسْتَوْلي عليه، وعليه تدور همومه وإرادته وقُصُودُه بكل خطرات قلبه، فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله، وإن سمع فبه يسمع، وإن أبصر فبه يبصر، وبه يَبْطِش، وبه يمشي، وبه يسكن، وبه يحيا، وبه يموت، وبه يُبعث»[٢].

٦- قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (السجدة).

---

١) أضواء البيان (٢/ ١٤٧).

٢) الجواب الكافي (٢٧٧/٢٧٨).

قال الحسن البصري رحمه الله: «أخفى قومٌ عملهم، فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر»[1].

٧- قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (السجدة).

قال ابن كثير رحمه الله: «قال ابن عُيينة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴿٢٤﴾ ﴾ (السجدة)؛ قال: «لما أخذوا برأس الأمر، صاروا رؤوسًا. قال بعض العلماء: بالصبر واليقين، تُنال الإمامة في الدين»[2].

٨- قال تعالى: ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (فاطر).

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد شاهَد الناس عيانًا أن من عاش بالمَكْر مات بالفقر»[3].

٩- قال تعالى: ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الإنسان).

قال ابن تيمية رحمه الله: «ولما كان في الصبر من حَبْس النفس والخشونة التي تلحق الظاهر والباطن من التعب والنَّصَب والحرارة ما فيه، كان الجزاء عليه بالجنة التي فيها السعة والحرير الذي فيه اللِّين والنعومة والاتِّكَاء الذي يتضمن الراحة والظلال المُنافية للحَر»[4].

---

١) تفسير ابن كثير (٦/٣٦٥).

٢) السابق (٦/٣٧٢).

٣) إغاثة اللهفان (١/٣٥٨).

٤) جامع الرسائل (١/ ٧٣)، وانظر: روضة المحبين (ص ٤٨٠).

١٠ - قال تعالى: ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (المطففين).

قال ابن القيم ﷺ: «قال ابن عباس ﷺ وغيره: يشرب بها المُقَرَّبُون صِرْفًا، ويُمْزَج لأصحاب اليمين مَزْجًا، وهذا لأن الجزاء وِفَاق العمل، فكما خلصت أعمال المُقَرَّبين كلها لله، خلص شرابهم، وكما مَزَج الأبرار الطاعات بالمُبَاحَات، مُزِج لهم شرابهم، فمن أخلص أُخْلِص شرابه، ومن مَزَج مُزِج شرابه»[١].

١١- قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأعلى).

قال ابن تيمية ﷺ: «فالجزاء من جنس العمل؛ لما كان في الدنيا ليس بحي الحياة النافعة التي خُلِق لأجلها، بل كانت حياته من جنس حياة البهائم، ولم يكن ميتًا عديم الإحساس؛ كان في الآخرة كذلك»[٢].

١٢- ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ (الليل).

قال ابن القيم ﷺ: «فالنفس المُطيعة هي النافعة المُحسِنة التي طَبْعُها الإحسان وإعطاء الخير اللازم والمتعدي، فَتُعطي خيرها لنفسها ولغيرها، فهي بمنزله العين التي ينتفع الناس بشربهم منها، وسَقْي دوابهم وأنعامهم وزرعهم، فهم ينتفعون بها كيف شاؤوا، فهي مُيَسَّرة لذلك، وهكذا الرجل المبارك مُيَسَّر للنفع حيث حَل، فجزاء هذا أن يُيَسِّره الله لليُسرى كما كانت نفسه مُيسَّرة للعطاء»[٣].

---

١) طريق الهجرتين (ص ١٩٤).

٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٩٧-٢٩٨).

٣) التبيان في أقسام القرآن (ص ٥٦-٥٧).

٣- قاعدة: «من ترك الإقبال على ما ينفعه ابتُلي بالاشتغال بما يضره»[١]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (البقرة).

قال السعدي ﷺ: «ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن **من ترك ما ينفعه وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتُلي بالاشتغال بما يضره**؛ فمن ترك عبادة الرحمن ابتُلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل.

كذلك هؤلاء اليهود لما نَبَذُوا كتاب الله اتَّبَعُوا ما تتلوا الشياطين وتَخْتَلِق من السحر على مُلْك سليمان؛ حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان ﷺ كان يستعمله وبه حصل له الملك العظيم»[٢].

---

١) القواعد الحسان للسعدي (ص٩٦).

٢) تفسير السعدي (ص ٦٠).

٢- قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (الأنعام).

قال ابن القيم ﷺ: «من عُرِض عليه حق فَردَّه ولم يقبله، عُوقِب بفساد قلبه وعقله ورأيه»[1].

٣- قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ (الأحزاب).

قال ابن القيم ﷺ: «فأخبر الله أن الفرار من الموت بالشهادة لا ينفع، فلا فائدة فيه، وأنه لو نفع لم ينفع إلا قليلًا؛ إذ لا بد له من الموت، فيفوته بهذا القليل ما هو خير منه وأنفع من حياة الشهيد عند ربه.

ثم قال: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الأحزاب).

فأخبر سبحانه أن العبد لا يعصمه أحدٌ من الله إن أراد به سوءًا غير الموت الذي فَرَّ منه؛ فإنه فَرّ من الموت لمّا كان يسوءه، فأخبر الله سبحانه أنه لو أراد به سوءًا غيرَه لم يعصمه أحدٌ من الله، وأنه قد يَفِر مما يسوءه من القتل في سبيل الله، فيقع فيما يسوءه مما هو أعظم منه.

وإذا كان هذا في مُصِيبة النفس، فالأمر هكذا في مُصِيبة المال والعِرْض والبدن؛ فإن من بخل بماله أن ينفقه في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته، سَلَبه الله إياه أو قَيَّض له إنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أُخرى، بل فيما يعود عليه بمضرته

---

١) مفتاح دار السعادة (ص ٩٩).

عاجلًا وآجلًا! وإن حَبَسَه وادَّخَره مَنَعه التَّمَتُّع به ونَقَلَه إلى غيره فيكون له مَهْنَؤُه وعلى مُخلِّفه وِزْرُه!

وكذلك من رَفَّه بدنه وعِرْضه وآثر راحته على التعب لله وفي سبيله؛ أتعبه الله سبحانه أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته، وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب.

قال أبو حازم ﷺ[1]: لَمَا يلقى الذي لا يتقي الله من مُعَالَجة الخلق، أعظم مما يلقى الذي يتقي الله من مُعَالَجة التقوى[2].

واعْتَبِر ذلك بحال إبليس؛ فإنه امتنع من السجود لآدم فِرَارًا أن يخضع له ويذل، وطلب إِعْزَاز نفسه؛ فَصَيَّره الله أذل الأذلين، وجعله خَادِمًا لأهل الفسوق والفجور من ذريته، فلم يرض بالسجود له ورضي أن يخدم هو وبنوه فُسَّاق ذريته. وكذلك عُباد الأصنام؛ أَنِفُوا أن يتّبعوا رسولًا من البشر، وأن يعبدوا إلهًا واحدًا سبحانه، ورضوا أن يعبدوا آلهة من الأحجار!

وكذلك كل من امتنع أن يَذِل لله، أو يَبْذُل ماله في مرضاته، أو يُتْعِب نفسه في طاعته؛ لابد أن يَذِل لمن لا يَسْوَى ويبذل له ماله ويُتعِب نفسه وبدنه في طاعته ومرضاته؛ عقوبة له؛ كما قال بعض السلف: من امتنع أن يمشي مع أخيه خطوات في حاجته، أمشاه الله تعالى أكثر منها في غير طاعته»[3].

---

١) هو: سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم، ويقال له: الأعرج، عالم المدينة وقاضيها وشيخها، فارسي الأصل، كان زاهدًا عابدًا، توفي سنة: ١٤٠هـ انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠١)، الأعلام للزركلي (١١٣/٣).

٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٤٥).

٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/١٩٤-١٩٥).

الباب الثالث

النظر والتدبُّر في المناسبات[1]

---

١) ما يدخل تحت هذا الباب إنما هو من باب الفوائد المُكَمِّلة، فلا يتوقف عليه فهم الآية، كما لا يُقْطَع به. وعليه فالنظر فيه لا بأس به على سبيل التَّبَع، ما لم يكن مُتَكَلَّفًا.

النظر والتدبر في المناسبات[1] بأنواعها:

أ. الربط بين السورة والتي قبلها، والسورة والتي بعدها (عند القائل بأن ترتيب السور توقيفي):

<u>التطبيق:</u>

١- (سورتا: القمر والرحمن):

قال ابن الزبير الغرناطي ﷺ[2]: «إذا تأملت سورة القمر، وجدت خطابها وإعذارها خاصًّا ببني آدم، بل بمشركي العرب منهم فقط، فأُتْبِعَت بسورة الرحمن؛ تنبيهًا للثقلين وإعذارًا إليهم، وتقريرًا للجنس على ما أودع الله تعالى في العالم من العجائب والبراهين الساطعة؛ فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ خطابًا للجنسين، وإعذارًا للثقلين، فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان»[3].

---

١) المناسبات في اللغة: جمع مناسبة، على وزن مفاعلة، وهي ارتباط بين شيئين أو أكثر؛ قال في المقاييس: «النون والسين والباء، كلمة واحدة، قياسها: اتصال شيء بشيء؛ منه: النَّسَب؛ لاتصاله وللاتصال به». المقاييس في اللغة (مادة نسب) (٥/ ٤٢٣). والمناسبات في الاصطلاح: علم منه تُعرف عِلَل الترتيب في القرآن الكريم. انظر: البرهان للزركشي (١/ ٣٥)، نظم الدرر (١/ ٥)، الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٣٩)، الكليات (٨٦٦).

٢) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، مُحَدِّث مُؤَرِّخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس، انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول، ولد في جَيَّان، وأقام بمَالِقَة، فحدثت له فيها شؤون ومُنَغِّصَات، فغادرها إلى غرناطة فطاب بها عيشه وأكمل ما شرع فيه من مصنفاته. وتوفي فيها سنة ٧٠٨هـ انظر: الوافي بالوفيات (٦/ ١٤٠)، والأعلام للزركلي (١/ ٨٦).

٣) البرهان في تناسب سور القرآن (١/٣٢٨).

٢- (سورتا: الفيل وقريش):

قال السيوطي ﷺ: «والمعنى أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش»[١].

وقيل: «حَبَسْنَا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله؛ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾؛ أي: لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين»[٢].

وقيل: «كأنه قال سبحانه: أهلكتُ أصحاب الفيل لأجل تَأَلُّف قريش»[٣].

قال الفراء[٤]: «هذه السورة متصلة بالسورة الأولى؛ لأنه ذكر سبحانه أهل مكة بعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة، ثم قال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾؛ أي: فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش، وذلك أن قريشًا كانت تخرج في تجارتها فلا يُغَار عليها في الجاهلية، يقولون: هم أهل بيت الله ﷻ، حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة ويأخذ حجارتها فيبني بها بيتًا في اليمن يحج الناس إليه، فأهلكهم الله ﷻ، فَذَكَّرَهم نعمته؛ أي: فعل ذلك لإيلاف قريش؛ أي: ليألفوا الخروج ولا يُجترأ عليهم»، وذكر نحو هذا ابن قتيبة.

قال الزجاج: «والمعنى: فجعلهم كعصف مأكول لإلف قريش؛ أي: أهلك الله أصحاب الفيل؛ لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف»[٥].

وقال في الكشاف: «إن اللام متعلق بقوله: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ﴾ أمرهم أن يعبدوه؛ لأجل إيلافهم الرحلتين»[٦].

---

١) معترك الأقران (٣/ ٣٦٧)، وانظر: البرهان في تناسب سور القرآن (ص ٢١٨)، نظم الدرر (٢٢/ ٢٥٩-٢٦٠).

٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩١).

٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٠٨).

٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/٢٩٣).

٥) معاني القرآن للزجاج (٥/٣٦٥).

٦) الكشاف (٤/٨٠٠) بتصرف يسير.

ب. الربط بين صدر السورة وخاتمتها:

التطبيق:

١- سورة النحل: «افتُتِحت بالنّهي عن الاستعجال، وخُتِمت بالأمر بالصبر»[١].

قال تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ (النحل)، وخُتمت بقوله سبحانه: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (النحل).

٢- سورة الإسراء: «افتُتحت بالتسبيح، وخُتمت بالتحميد»[٢].

قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء)، وخُتمت بقوله سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ (الإسراء).

٣- سورة المؤمنون: «جعل فاتحة السورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾، وأورد في خاتمتها ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة»[٣].

---

١) مراصد المطالع (ص ٥٣- ٥٤).

٢) السابق.

٣) الكشاف (٣/٢٠٧).

ج. الربط بين الآية والتي قبلها، والآية والتي بعدها:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن؛ تبين له المُراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج»[1].

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ (الفاتحة).

قال القرطبي رحمه الله: «وصف الله تعالى نفسه بعد قوله: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، بأنه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾؛ لأنه لما كان في اتصافه بـ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ترهيب، قرنه بـ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ لما تضمن من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه؛ فيكون أعون على طاعته وأمنع»[2].

٢- قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة).

قال ابن القيم رحمه الله: «ولما كان طالبُ الصراط المستقيم طالبَ أمر أكثرُ الناس ناكبون عنه، مُرِيدًا لسلوك طريقٍ مُرَافِقُه فيها في غاية القلة والعزة، والنفوس مجبولة على وحشة التَّفَرُّد، وعلى الأُنْس بالرفيق نَبَّه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم الذين: ﴿ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ﴾ (النساء)، فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم؛ لِيَزول عن الطالب للهداية وسلوك

---

١) مجموع الفتاوى (١٥/٩٤).

٢) الجامع لأحكام القرآن (١/١٣٩).

الصراط وحشةُ تَفَرُّدِه عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قَدْرًا، وإن كانُوا الأكثرين عددًا...»[1].

وقال ﷺ في موضع آخر: «أفلا ترى كيف أفاد وصفك لها بأنها طريق السالكين الناجين قَدْرًا زائدًا على وصفك لها بأنها طريق موصلة وقريبة سهلة مستقيمة؟! فإن النفوس مجبولة على التأسي والمتابعة، فإذا ذُكِر لها من تتأسى به في سلوكها، أنست واقتحمتها، فتأمله»[2].

٣- قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (البقرة).

قال السعدي ﷺ: «ولهذا قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾؛ أي: يستيقنون ﴿ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾؛ فهذا الذي خفف عليهم العبادات، وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونَفَّسَ عنهم الكُربات، وزجرهم عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغُرُفات العاليات، وأما من لم يؤمن بلقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه»[3].

٤- قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (البقرة).

---

١) مدارج السالكين (١/ ٤٥-٤٦).

٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٨-٢٩).

٣) تفسير السعدي (ص ٥١).

«لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر، شرع في بيان الصبر، والإرشاد إلى الاستعانة بالصبر والصلاة؛ فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نِقْمَة فيصبر عليها»[1].

٥- قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ (البقرة).

قال ابن رجب رحمه الله: «بعد ذِكْرِ تحريم الطعام والشراب على الصائم بالنهار، ذكَر تحريم أكل أموال الناس بالباطل؛ فإن تحريم هذا عام في كل زمان ومكان، بخلاف الطعام والشراب، فكان إشارة إلى أن من امتثل أمر الله في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه، فليمتثل أمره في اجتناب أكل الأموال بالباطل؛ فإنه مُحَرَّم بكل حال، لا يباح في وقت من الأوقات»[2].

٦- قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (آل عمران).

---

١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٦).

٢) لطائف المعارف (١/١٦٥).

قال ابن عاشور ﷺ: «لأنه لما أظهر لهم نِعْمة نَقْلِهم مِن حالَتِي شقاء وشَنَاعة، إلى حالَتِي نعيمٍ وكمالٍ، وكانوا قد ذاقوا بين الحالتين الأَمَرَّيْن، ثم الأَحْلَوَيْن، فَحَلَبُوا الدهر أَشْطَرَيْه كانوا أَحْرِيَاء بأن يَسْعَوا بكل عزمهم إلى انتشال غيرهم من سوء ما هو فيه، إلى حُسْنَى ما هم عليه؛ حتى يكون الناس أمة واحدة خَيِّرة»[1].

٧- قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (آل عمران).

قال ابن عثيمين ﷺ: «النهي عن التَّفَرُّق بعد ذِكْرِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يدل على أن تركه هو سبب للتفرق»[2].

٨- قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ (النساء).

فالأمر بالاستغفار بعد قوله: ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾، يدل على أن الحاكم -القاضي- والمفتي ونحوهما بحاجة إلى الاستغفار؛ ليقع الحكم والفتيا على الصواب.

قال شيخ الإسلام ﷺ: «إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تُشْكِل علي، فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل»، قال: «وأكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي»[3].

---

١) التحرير والتنوير (٣٦/٤).

٢) شرح رياض الصالحين (٤٠٩/٢).

٣) العقود الدرية (ص ٢٢).

٩- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (الأعراف).

قال البقاعي رحمه الله[1]: «ولما ذكر المُصِرِّين على المعصية، عطف عليه التائبين؛ ترغيبًا في مثل حالهم فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾»[2].

١٠- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الأنبياء).

قال ابن كثير رحمه الله: «الحكمة من ذكر عجلة الإنسان ها هنا: أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول صلوات الله وسلامه عليه، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستُعْجِلَت، فقال تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾؛ لأنه تعالى يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته، يُؤجِّل ثم يُعجِّل، ويُنْظِر ثم لا يُؤَخِّر؛ ولهذا قال: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾؛ أي: نقمتي واقتداري على من عصاني، ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾»[3].

١١- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ (الفرقان).

---

١) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ انظر: الضوء اللامع (١٠١/١)، والأعلام للزركلي (١/ ٥٦).

٢) نظم الدرر (٩٢/٨).

٣) تفسير ابن كثير (٣٤٣/٥).

قال الزركشي ﷺ: «أذهلني يومًا قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴿٢٦﴾ ﴾، فقلت: يا لطيف!! عَلِمْتَ أن قلوب أوليائك الذين يعقلون هذه الأوصاف عنك وتتراءى لهم تلك الأهوال لا تتمالك فَلَطَفْت بهم فَنَسَبْت ﴿ ٱلْمُلْكُ ﴾ إلى أَعَمِّ اسم في الرحمة فقُلْت: ﴿ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾؛ ليلاقي هذا الاسم تلك القلوب التي يحل بها الهول فَيُمَازِج تلك الأهوال، ولو كان بدله اسمًا آخر من عزيزٍ وجبارٍ لتفطرت القلوب»[1].

١٢- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ (الأحزاب: ٥٣)، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأحزاب).

لما ذكر الله تعالى آيات الحجاب في سورة الأحزاب، تَوَعَّد قبلها المنافقين وأضرابهم الذين يؤذون الله ورسوله وأهل الإيمان، وهم حرب على الفضيلة وأهلها، ثم أعقبها بِتَوَعُّد المنافقين وأصحاب القلوب المريضة، وأهل الإرجاف وقالة السوء، فيدخل في ذلك الطاعنون في الحجاب والسَّتْر والعفاف، والمُؤْذُون لذوات الطُّهر والحِشْمة.

---

١) البرهان للزركشي (١/٤٧٠).

١٣- قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الصافات).

«قيل: رُوعي هنا مقابلة قولهم: ﴿ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا ﴾؛ لأنه يُفهم منه إرادتهم علو أمرهم بفعلهم ذلك، فَقُوبلوا بالضد، فَجُعِلوا الأسفلين»[1].

١٤- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (ق).

قال ابن القيم رحمه الله: «وتأمل قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾، فإن أعداء الرسول ﷺ نسبوه إلى ما لا يليق به، وقالوا فيه ما هو مُنَزَّه عنه، فأمره الله ﷻ أن يصبر على قولهم، ويكون له أسوة بربه ﷻ، حيث قال أعداؤه فيه ما لا يليق»[2].

١٥- قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ (الإنسان).

قال ابن القيم رحمه الله: «إن طال وقوفه في الصلاة ليلًا ونهارًا لله، وتحمل لأجله المشاقَّ في مرضاته وطاعته، خَفَّ عليه الوقوفُ في ذلك اليوم وسَهُلَ عليه، وإن آثر الراحة هنا والدَّعَة والبَطَالَة والنعمة، طال عليه الوقوف هناك واشتدت مشقته عليه»[3].

---

١) ملاك التأويل (٢/٣٥٠) (بتصرف يسير). وانظر: درة التنزيل (١/٩٠٥-٩٠٦)، كشف المعاني لابن جماعة (ص٢٥٦).

٢) إغاثة اللهفان (٢/٣٤٠).

٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/٨٤-٨٥).

١٦- قال تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ (الشرح).

من القواعد العامة: (التخلية قبل التحلية)، وقد وردت في القرآن كثيرًا؛ في مثل قوله تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾، وهذا مقام التخلية، فلما خَلَّاه بوضع الوزر عنه، حلَّاه برفع الذِّكْر: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾، واعْتَبِر هذا في القرآن في كلمة التوحيد وغيرها تجده كثيرَ الوقوع في القرآن[1].

١٧- قال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢﴾ (الماعون).

قال ابن عاشور رحمه الله: «هذا إيذانٌ بأنَّ الإيمانَ بالبعث والجزاء هو الوازع الحق الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة؛ حتى يصير ذلك لها خُلُقًا إذا شَبَّت عليه، فزكت وانساقت إلى الخير بدون كلفة ولا احتياج إلى أمر، ولا إلى مخافة ممن يقيم عليه العقوبات، حتى إذا اختلى بنفسه، وأَمِنَ الرُّقَباء، جاء بالفحشاء والأعمال النكراء!»[2].

---

١) ليدبروا آياته (٢/٢٧٩).

٢) التحرير والتنوير (٣٠/٥٦٥).

د. الربط بين الجمل:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة).

قال ابن القيم ﷺ: «إن القلب يَعْرِض له مرضان عظيمان، إن لم يَتَدَارَكهما العبد تَرَامَيَا به إلى التَّلَف ولابد؛ وهما: الرياء، والكِبْر، فدواء الرياء بـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ودواء الكِبْر بـ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وكثيرًا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدفع الكبرياء.

فإذا عُوفِيَ من مرض الرياء بـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ومن مرض الكبرياء والعُجْب بـ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ومن مرض الضلال والجهل بـ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، عُوفِيَ من أمراضه وأسقامه، وَرَفَلَ في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان مِنَ المُنْعَمِ عليهم، غير المغضوب عليهم؛ وهم أهل فساد القصد، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، والضالين؛ وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه. وحَقَّ لسورة تشتمل على هذين الشِّفَاءَيْن أن يُسْتَشْفَى بها من كل مرض»[١].

٢- قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٧﴾ (البقرة).

«الخادم متى علم أن مخدومه مُطَّلِع عليه؛ كان أحرص على العمل وأكثر الْتذاذًا به، وأقل نُفرة عنه، وكان اجتهاده في أداء الطاعات وفي الاحتراز عن

---

١) مدارج السالكين (٧٨/١).

المحظورات أشد؛ فلهذه الوجوه أَتْبَع الله تعالى الأمر بالحج والنهي عن الرفث والفسوق والجدال بقوله: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾»[1].

٣- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾ (الأنفال).

قال ابن القيم ﷺ: «تأمل كيف أخبر عن حيلولته بين المرء وقلبه بعد أمره بالاستجابة له ولرسوله، كيف تجد في ضمن هذا الأمر والخبر أن من ترك الاستجابة له ولرسوله، حال بينه وبين قلبه؛ عقوبة له على ترك الاستجابة، فإنه سبحانه يعاقب القلوب بإزاغتها عن هداها ثانيًا، كما زاغت هي عنه أولًا؛ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (الصف:٥)»[2].

٤- قال تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) ﴾ (غافر).

قال ابن القيم ﷺ: «تأمل كيف وقع الوصف بشديد العقاب بين صفة رحمة قبله وصفة رحمة بعده، فقبله: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾، وبعده: ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾؛ ففي هذا تصديق الحديث الصحيح وشاهد له، وهو قوله ﷺ: «لما قضى اللهُ الخلقَ، كتب كتابًا عنده: غلبَتْ -أو قال: سبَقَتْ- رحمتي غضَبي، فهو عنده فوقَ العَرْشِ»[3]... وقد سبقت صفة الرحمة هنا وغلبت»[4].

---

١) مفاتيح الغيب (٣/١٨٥).

٢) الكلام على مسألة السماع (ص ١٠١).

٣) أخرجه البخاري (٧٥٥٣).

٤) بدائع الفوائد (١/ ١٩٣).

٥- قال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ (النجم).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «فوصفَه بأنه ليس بضال وهو الجاهل، ولا غاوٍ وهو الظالم، فإن صلاحَ العبد في أن يعلمَ الحقَّ ويَعمَلَ به، فمن لم يَعلمِ الحقَّ فهو ضالٌّ عنه، ومَن عَلِمَه فخالفَه واتبَعَ هواه فهو غاوٍ، ومَن علمه وعَمِل به، كان من أولي الأيدي عملًا، ومن أولي الأبصار علمًا»[1].

٦- قال تعالى: ﴿ عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (الإنسان:٢١).

قال ابن كثير ﷺ: «ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي، قال بعده: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾؛ أي: طَهَّر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الردية»[2].

---

١) جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٨٥).

٢) تفسير ابن كثير (٨/٢٩٣).

هـ الربط بين موضوع الآية وخاتمتها:

- قال البقاعي رحمه الله: «ومن تدبر الابتداء عرف الختم ومن تأمل الختم، لاح له الابتداء»[1].

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (البقرة:٢٠٣).

قال ابن كثير رحمه الله: «فإنه لما ذكر الله تعالى النَّفْر الأول والثاني، وهو تفرق الناس من موسم الحج إلى سائر الأقاليم والآفاق، بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف، قال: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾؛ أي: تجتمعون يوم القيامة»[2].

وقال السعدي رحمه الله: «﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بامتثال أوامره واجتناب معاصيه، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾، فمجازيكم بأعمالكم؛ فمن اتقاه وجد جزاء التقوى عنده، ومن لم يتقه عاقبه أشد العقوبة، فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله؛ فلهذا حث تعالى على العلم بذلك»[3].

٢- قال تعالى: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ (البقرة).

---

١) نظم الدرر (١٣٦/٣).

٢) تفسير ابن كثير (٥٦٢/١).

٣) تفسير السعدي (ص ٩٣).

قال في الكشاف: «ورُوي أنّ قارئًا قرأ (غفور رحيم)، فسمعه أعرابي فأنكره -ولم يقرأ القرآن- وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم!! لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه»[1].

٣- قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ (النساء).

لما ذكر الله قوامة الرجل على المرأة، وحق الزوج في تأديب امرأته الناشز، ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾، فَذَكَّر بعلوه وكبريائه ترهيبًا للرجال؛ لئلا يعتدوا على النساء، ويتعدوا حدود الله التي أمر بها[2].

قال القاسمي رحمه الله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه؛ تهديد للأزواج على ظلم النسوان من غير سبب، فإنهن وإن ضعفن عن دفع ظلمكم، وعجزن عن الانتصاف منكم؛ فالله علي كبير، قادر، ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن، فلا تغتروا بكونكم أعلى يدًا منهن، وأكبر درجة منهن، فإن الله أعلى منكم، وأقدر منكم عليهن، فخَتْمُ الآية بهذين الاسمين فيه تمام المناسبة»[3].

---

١) الكشاف (١/ ٢٥٣)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/٣٤٧).

٢) ليدبروا آياته (١/٧٤).

٣) محاسن التأويل (٣/١٠٠).

٤- قال تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٨).

قال ابن القيم ﷺ: «ولم يقل: (الغفور الرحيم) وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى؛ فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة، بل مقام براءة منهم»[١].

وكذلك فإنه حينما يعذبهم أو يغفر لهم، فإن ذلك صادر عن عزة وحكمة، وليس عن ضعف وعجز عن المؤاخذة حال المغفرة، أو وَضْع للأمر في غير موضعه.

٥- قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأعراف).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «لما كان قوله تعالى: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ مشتملًا على جميع مقامات الإيمان والإحسان، وهي: الحُبُّ والخوف والرجاء، عَقَّبها بقوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾؛ أي: إنما تَنَالُ من دعاه خوفًا وطمعًا، فهو المحسن، والرحمة قريب منه؛ لأن مدار الإحسان على هذه الأصول الثلاثة»[٢].

٦- قال تعالى في سياق خطاب شعيب ﷺ لقومه: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (هود).

---

١) مدارج السالكين (٢/ ٣٥٨- ٣٥٩).

٢) مجموع الفتاوى (١٥/٢٦).

قال السعدي ﷺ: «أي: ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي، ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾»[1].

٧- قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (يوسف).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «من احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله -كما فعل يوسف ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين- كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا»[2].

٨- قال تعالى بعد أن ذكر آيات المُلَاعَنَة: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ (النور).

قال السيوطي ﷺ: «فإن بادئ الرأي يقتضي «تواب رحيم»؛ لأن الرحمة مناسبة للتوبة، لكن عبر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته، وهي السَّتْر عن هذه الفاحشة العظيمة»[3].

١) تفسير السعدي (ص ٣٨٧).

٢) مجموع الفتاوى (١٥/١٣٢).

٣) الإتقان في علوم القرآن (٣/٣٥٢).

٩- قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣٠، ٣١).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «في قوله في آخر الآية: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فوائد جليلة؛ منها: أن أمره لجميع المؤمنين بالتوبة في هذا السياق؛ تنبيه على أنه لا يخلو مؤمن من بعض هذه الذنوب التي هي: ترك غض البصر، وحفظ الفرج، وترك إبداء الزينة، وما يتبع ذلك، فَمُسْتَقِل ومُسْتَكْثِر»[1].

١٠- قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢)﴾ (القصص).

قال ابن هبيرة ﷺ: «إنما ذكر السماع عند ذكر الليل، والإبصار عند ذكر النهار؛ لأن الإنسان يدرك سمعه في الليل أكثر من إدراكه بالنهار، ويرى بالنهار أكثر مما يرى بالليل».

---

١) مجموع الفتاوى (١٥/٤٠٣).

قال المُبَرِّد ﵀[1]: «سلطان السمع في الليل، وسلطان البصر في النهار»[2].

١١- قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (السجدة).

«تلحظ هنا توافق النسق القرآني بين صدر الآيات وعَجُزها، ففي الآية السابقة قال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ... ﴾؛ أي: يدلُّ ويرشد، والكلام فيها عن قصص تاريخي، فناسبها: ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾، أما هنا فالكلام عن مَشَاهِد مَرْئية، فناسبها: ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾؛ فهذا ينبغي أنْ يُسمع، وهذا ينبغي أنْ يُرى»[3].

١٢- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الشورى).

قال ابن عاشور ﵀: «وذكر صفتي الولي الحميد دون غيرهما؛ لمناسبتهما للإغاثة؛ لأن الولي يُحسِن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يُحمَد عليه»[4].

---

١) هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمُبَرِّد، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد، توفي سنة: ٢٨٦هـ انظر: تاريخ العلماء النحويين (ص٦٢)، والأعلام للزركلي (٧/ ١٤٤).

٢) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٨/٢)، وهو تابع للكلام المنقول عن ابن هبيرة. وانظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٨)، تفسير السعدي (ص ٦٢٣).

٣) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٨٦٦- ١١٨٦٧). وانظر: فتح البيان (١١/ ٣٥).

٤) التحرير والتنوير (٩٦/٢٥).

و. الربط بين المقاطع في السورة:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧) ﴾ (النساء).

ثم قال بعدها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) ﴾ (النساء).

قال السيوطي ﷺ: «تقدم أن صورة السبب قطعية الدخول في العام، وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة رعاية لنظم القرآن وحُسْن السياق، فيكون ذلك الخاص قريبًا من صورة السبب في كونه قطعي الدخول في العام، كما اختار السُّبْكِي أنه رُتْبَة متوسطة دون السبب وفوق المُجَرَّد.

مثاله قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ ... إلى آخره، فإنها إشارة إلى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لَمّا قَدِموا مكة وشاهدوا قتلى بدرٍ حَرَّضوا المُشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النَّبي ﷺ فَسألوهم: من أهدى سبيلًا؟ محمد وأصحابه أم نحن؟ فقالوا: أنتم!!

مع علمهم بما في كتابهم من نعت النَّبي ﷺ المُنْطَبِق عليه، وأخذ المواثيق عليهم ألا يكتموه، فكان ذلك أمانة لازمة لهم ولم يُؤَدُّوها حيث قالوا للكفار: أنتم أهدى سبيلًا، حسدًا للنبي ﷺ. فقد تضمنت هذه الآية مع هذا القول: التَّوَعُّدَ عليه؛ المفيد للأمر بِمُقَابِلِه المُشْتَمِل على أداء الأمانة التي هي بيان صفة النبي ﷺ بإفادة أنَّه الموصوف في كتابهم، وذلك مناسب لقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾، فهذا عام في كلِّ أمانة، وذلك خاص بأمانة هي صفة النبي ﷺ بالطريق السابق، والعامُّ تَالٍ للخاص في الرَّسم مُتراخٍ عنه في النزول، والمناسبة تقتضي دخول ما دل عليه الخاص في العام؛ ولذا قال ابن العربي في تفسيره: وجه النظم: أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد، وقولهم: إن المشركين أهدى سبيلًا، فكان ذلك خيانة منهم، فانجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات»[1].

ولمزيد من الإيضاح فإن هذه الآيات: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ (النساء: ٥١-٥٧) نزلت -فيما رُوي[2]- بسبب سؤال المشركين لليهود: أنحن أهدى أم محمد؟ فأجابهم اليهود: أنتم أهدى من محمد !! وسجدوا لأصنامهم؛ فكان ذلك منهم كتمانًا للشهادة بالحق، وتضييعًا للأمانة التي حُمِّلُوها.

ثم قال بعد هذه الآيات: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ فهذه الآية نزلت -فيما رُوي- بسبب مفاتيح الكعبة.

---

١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١٣- ١١٤).

٢) انظر: السنن الكبرى للنسائي (١١٦٤٣)، وللوقوف على المرويات الواردة في ذلك -وهي لا تخلو من ضعف- ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب (١/٤٠٥- ٤١١).

قال الواحدي ﷺ[1]: «نزلت في ابن طلحة، قبض النبي ﷺ مفتاح الكعبة، فدخل الكعبة يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح وقال: «**خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم إلا ظالم**»[2].

فهذا هو سبب النزول -على فرض صحة الحديث- ويدخل في عموم الأمانات ما سبق من الشهادة بالحق، الأمر الذي ضيعه اليهود حينما سألهم المشركون.

٢- قال تعالى في سورة الأعراف، بعد ذِكْرِ قصة آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ (الأعراف).

قال ابن عاشور ﷺ: «وكان لاختيار استحضارهم عند الخطاب بعنوان بني آدم مرتين وَقْعٌ عجيب: بعد الفراغ من ذكر قصة خلق آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان؛ وذلك أن شأن الذرية أن تَثْأر لآبائها، وتُعَادي عدوهم، وتحترس من الوقوع في شَرَكِه»[3].

---

١) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّويَة، أبو الحسن الواحدي، مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي: بـ(إمام علماء التأويل)، كان من أولاد التجار، أصله من ساوة -بين الريّ وهمذان- ومولده ووفاته بنيسابور، توفي سنة: ٤٦٨هـ انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٤)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٥).

٢) انظر: أخبار مكة للأزرقي (١/ ١٠٩)، (١/ ٢٦٥)، أسباب النزول للواحدي (١/ ١٥٨)، المقاصد الحسنة (٤٣١)، جامع الأحاديث (٣٠٤٠٥)، الدر المنثور (٢/ ٥٧٠). وللوقوف على المرويات في ذلك -ولا تخلو من ضعف- ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب (١/٤١٢- ٤١٦).

٣) التحرير والتنوير (٧٣/٨).

٣- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ (النور).

قال ابن تيمية ﷺ: «ذَكَرَ سبحانه آية النور عقيب آيات غضِّ البصر، فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وكان شاه بن شُجَاع الكرماني لا تُخطئ له فِراسة، وكان يقول: مَن عَمَّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المُراقبة، وغضَّ بصره عن المَحارم، وكفَّ نفسه عن الشَّهوات، -وَذَكَرَ خَصْلَةً خامسة، وهي: أَكْلُ الحلال- لم تُخْطِئ له فِرَاسَة.

والله تعالى يَجْزِي العبد على عمله بما هو من جنس عمله؛ فغضُّ بصره عمَّا حَرُم يُعَوِّضه الله عليه من جنسه بما هو خيرٌ منه؛ فَيُطْلِقُ نور بصيرته، ويَفتَحُ عليه باب العلم والمعرفة والكشوف، ونحو ذلك مِمَّا ينالُ ببصيرة القلب»[1].

وقال الشنقيطي ﷺ: «لما أمر الله تعالى ببعض الأمور التي لا غنى للناس عنها، ونهى عن بعض الأمور التي بارتكابها يحصل الضرر على المجتمع والأفراد، وحث على بعض الآداب السماوية، بين سبحانه أن امتثال تلك الأوامر، واجتناب تلك النواهي، والتزام تلك الآداب؛ ينور لها قلوب عباده فيوفقهم لها، ويطمس قلوب آخرين، فلا يمتثلون أوامره، ويرتكبون نواهيه، فضرب للموفق هذا المثل، وضرب للضالين المثل الآتي في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ...﴾ (النور:٤٠)»[2].

---

١) مجموع الفتاوى (٢١/ ٢٥٧- ٢٥٨)، وانظر ما ذكره في (١٥/ ٢٨٢- ٢٨٣).

٢) تفسير سورة النور للشنقيطي (ص ١٣٥).

٤- قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ (لقمان).

قال ابن كثير ﵀: «لما ذكر تعالى حال السعداء، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾(الزمر)، عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب، كما قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ قال: هو -والله- الغناء»[1].

١) تفسير ابن كثير (٦/٣٣٠).

ويلحق بذلك: (دلالة الاقتران).

دلالة الاقتران[1]:

التطبيق:

١- كثيرًا ما يَقْرن الله تعالى بين الصلاة والزكاة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (البقرة).

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (البقرة).

وقد قيل في وجه هذا الاقتران بين الصلاة والزكاة[2]:

(١) أن الصلاة صِلَة بين العبد وربه، وأما الزكاة فَصِلَة وإحسان إلى المخلوقين، وسعادة العبد دائرة بين حُسْن صِلَتِه بربه، وإحسانه إلى الخلق.

(٢) أن العبادات: إما مالية، وإما بدنية، ورأس العبادات المالية: الزكاة، كما أن رأس العبادات البدنية: الصلاة، فجمع بينهما بهذا الاعتبار.

(٣) أن الزكاة طُهْرة للمال، والصلاة طُهْرة للنفس، فتجتمع له الطهارتان.

---

١) وقد عَرَّفَها العلماء بتعريفات مختلفة بناء على صورة ذهنية لكل منهم، والواقع أنها أنواع؛ لذا فإن الأليق بموضوعنا أن نقتصر على أعم تلك التعريفات، وهو الذي ذهب إليه أبو يعلى الفراء في كتابه العدة في أصول الفقه (٤/ ١٤٢٠) حيث قال: أن يذكر الله تعالى أشياء في لفظ واحد ويعطف بعضها على بعض. ووجه ارتباط ذلك بموضوع المناسبات ظاهر؛ ولذلك نجد أمثلته تدخل تحت بعض صور المناسبات، كالمناسبة بين الجملة والجملة، أو الآية والآية.

٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢/ ٢٦٩)، (٣/ ٤٨٥)، تفسير أبي حيان (١/ ٦٩)، تفسير السعدي (ص ٤٠).

(٤) أن الصلاة شكر لنعمة البدن، والزكاة شكر لنعمة المال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «ولهذا يقرن الله بين الصلاة والزكاة تارة، وهي الإحسان إلى الخلق وبينهما وبين الصبر تارة، ولا بد من الثلاثة: الصلاة، والزكاة، والصبر؛ لا تقوم مصلحة المؤمنين إلا بذلك في صلاح نفوسهم وإصلاح غيرهم لا سيما كلما قويت الفتنة والمحنة، فالحاجة إلى ذلك تكون أشد»[١].

وقال ابن كثير ﷺ: «الصلاة حق الله وعبادته، وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه، وتمجيده والابتهال إليه، ودعائه والتوكل عليه، والإنفاقُ هو الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم»[٢].

قال السعدي ﷺ: «إن الله تعالى يقرن بين الصلاة والزكاة؛ لكونهما أفضل العبادات، وأكمل القربات، عبادات قلبية، وبدنية، ومالية، وبهما يوزن الإيمان، ويعرف ما مع صاحبه من الإيقان»[٣].

٢- قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (البقرة:١٩٧).

قال ابن القيم ﷺ: «أَمَر الحاج بأن يتزودوا لسفرهم، ولا يسافروا بغير زاد، ثم نبههم على زاد سفر الآخرة، وهو التقوى؛ فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يُبَلِّغه إياه، فكذلك المسافر إلى الله تعالى والدار الآخرة لا يصل إلا بزاد من التقوى، **فجمع بين الزادين**»[٤].

---

١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٥٤).

٢) تفسير ابن كثير(١/ ١٦٨-١٦٩).

٣) تفسير السعدي (ص ٨٣).

٤) إغاثة اللهفان (٥٨/١).

٣- قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الأعراف)، «فجمع بين الزينتين: زينة البدن باللباس، وزينة القلب بالتقوى، زينة الظاهر والباطن، وكمال الظاهر والباطن»[1].

٤- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (آل عمران).

قال ابن رجب رحمه الله: «ولهذا المعنى كان أشد الناس عذابًا من قتل نبيًّا؛ لأنَّه سعى في الأرض بالفساد، ومن قتل عالمًا، فقد قتل خليفة نبي، فهو ساع في الأرض بالفساد أيضًا؛ ولهذا قرن الله بين قتل الأنبياء وقتل العلماء الآمرين بالمعروف»[2].

٥- قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (المائدة:٢).

قال الماوَرْدي رحمه الله: «نَدَبَ الله تعالى إلى التعاون به وقَرَنَهُ بالتقوى له؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس؛ ومن جمع بين رضا الله تعالى ورِضَا الناس فقد تَمَّتْ سعادته وعَمَّت نعمته»[3].

---

١) السابق. وقال رحمه الله: «وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (الزخرف)؛ كيف نبههم بالسفر الحسي على السفر إليه، وجمع لهم بين السفرين كما جمع لهم الزادين في قوله: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (البقرة: ١٩٧)، فجمع لهم بين زاد سفرهم وزاد معادهم، وكما جمع بين اللباسين في قوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الأعراف)، فذكر سبحانه زينة ظواهرهم وبواطنهم، ونبههم بالحِسِّي على المعنوي، وفَهْم هذا القَدْر زائد على فهم مُجَرّد اللفظ ووضعه في أصل اللسان» اهـ إعلام الموقعين (٢/١٧٣-١٧٤)، وانظر نحوه في: تفسير ابن كثير (٧/٢٢٠).

٢) شرح حديث أبي الدرداء (ضمن مجموع رسائل ابن رجب) (١/٣٢).

٣) أدب الدنيا والدين (١/١٨٣).

٦- قال تعالى: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (المائدة).

قال ابن القيم ﷺ: «فذكر الأمرين -أي جمع بين (اللَّهُمَّ) و(ربنا)-ولم يجئ في القرآن سواه، ولا رأيت أحدًا تعرض لهذا ولا نبه عليه، وتحته سر عجيب دالٌّ على كمال معرفة المسيح بربه وتعظيمه له؛ فإن هذا السؤال كان عقيب سؤال قومه له: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، فَخَوَّفهم بالله وأعلمهم أن هذا مما لا يليق أن يُسأل عنه، وأن الإيمان يَرُدُّه، فلما أَلَحُّوا عليه في الطلب وخاف المسيح أن يُداخلهم الشك إن لم يُجابوا إلى ما سألوا، بدأ في السؤال باسم ﴿ ٱللَّهُمَّ ﴾ الدال على الثناء على الله بجميع أسمائه وصفاته، ففي ضمن ذلك تَصَوّره بصورة المُثني الحامد الذاكر لأسماء ربه المُثني عليه بها. وأن المقصود منه بهذا الدعاء وقضاء هذه الحاجة: إنما هو أن يُثني على الرب بذلك، ويُمَجِّده به، ويذكر آلاءه، ويُظهر شواهد قدرته وربوبيته، ويكون برهانًا على صدق رسوله فيحصل بذلك من زيادة الإيمان والثناء على الله أمر يحسن معه الطلب ويكون كالعذر فيه، فأتى بالاسمين: اسم الله الذي يُثْنَى عليه به، واسم الرب الذي يُدعَى ويُسأَل به، لما كان المقام مقام الأمرين.

فتأمل هذا السر العجيب ولا يَنْبُ عنه فهمك، فإنه من الفهم الذي يؤتيه الله من يشاء في كتابه وله الحمد»[1].

٧- قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (الأنعام).

---

١) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٤).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «العينان هما رَبِيئَةُ القلب، وليس من الأعضاء أشد ارتباطًا بالقلب من العينين؛ ولهذا جمع الله بينهما في قوله: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ ﴾، ﴿ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ (النور: ٣٧)، ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ (الأحزاب: ١٠)، ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴾ (النازعات)؛ ولأن كليهما له النظر؛ فنظر القلب الظاهر بالعينين، والباطن به وحده»[1].

٨- قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ (طه).

قال ابن القيم رحمه الله: «يَقْرِنُ اسْتِوَاءَهُ على العرش بهذا الاسم كثيرًا؛ كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ (الفرقان: ٥٩)، فاستوى على عرشه باسم الرحمن؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسِعَها، والرحمة مُحيطة بالخلق واسعة لهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات؛ فلذلك وَسِعَتْ رحمتُهُ كل شيء»[2].

٩- قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ ﴾ (المؤمنون).

«تأمل كيف قرن الله بين أكل الطيبات وعمل الصالحات، فَأَكْل الحلال الطيب مما يُعين العبد على فعل الصالحات، كما أن أَكْل الحرام أو الوقوع في المشتبهات، مما يُثقِل العبد عن فعل الصالحات»[3].

---

١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٢٥).

٢) مدارج السالكين (١/٥٧).

٣) ليدبروا آياته (١/١٦٢).

١٠- قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ (الحديد).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد؛ كتاب يُهدَى به، وحديد يَنْصُره؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾، فالكتاب به يقوم العلم والدين، والميزان به تقوم الحقوق في العقود المالكية والقُبُوض، والحديد به تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين؛ ولهذا كان في الأزمان المتأخرة: الكتاب للعلماء والعُبَّاد، والميزان للوزراء والكُتَّاب، وأهل الديوان، والحديد للأمراء والأجناد.

والكتاب له الصلاة؛ والحديد له الجهاد؛ ولهذا كان أكثر الآيات والأحاديث النبوية في الصلاة والجهاد، وكان النبي ﷺ يقول في عيادة المريض: «**اللَّهُمَّ اشف عبدك؛ يشهد لك صلاةً، وينكأ لك عدوًّا**»[١].

وقال ﷺ: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»[٢]؛ ولهذا جمع بينهما في مواضع من القرآن» اهـ[٣].

---

١) أخرجه أبو داود (٣١٠٧) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ، وصححه ابن حبان (٢٩٧٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٦).

٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)؛ من حديث معاذ ﷺ، وصححه الترمذي، والألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦) وغيره.

٣) الفتاوى الكبرى (١١٦/٥).

١١- قال الإسكافي ﷺ: «السائل أن يسأل عن قوله في خِلَال ذِكْر الطلاق والعِددَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ﴾ ثلاث مرات، يفعل به كذا، واختصاص كل جزاء بمكان.

فأوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾﴾ (الطلاق).

والثاني: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ (الطلاق).

والثالث: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ (الطلاق).

والجواب أن يُقَال: إنما اقترن بالطلاق والعِدّة هذا الوعظ؛ لأن الطلاق فَضُّ حالٍ مُتَمَهِّدة، وقَطْع آمالٍ مُتأكِّدة، والعدة باستيفائها يخلص النسب، ويصح للزوج الثاني الولد، ولو لم يكن هذا الحد الذي حَدَّه الله تعالى، لَكان الفساد مُتَّصِلًا في انقضاء الدنيا، فهو أحق الأشياء بالمراعاة وتأكيد المقال فيه والوصاة»[١].

١٢- قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ (الإنسان).

«مَجَامِع الطاعات محصورة في أمرين: التعظيم لأمر الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾، والشفقة على خلق الله، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾»[٢]؛ فجاء الاقتران بينهما في هاتين الآيتين.

---

١) درة التنزيل (١٢٨٣- ١٢٨٤).

٢) مفاتيح الغيب (١٨ /٧٤٦).

١٣- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ (الليل: ٥)، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل: ١٢٨).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «هذان الأصلان هما جِمَاع الدين العام -كما يُقال-: **التعظيم لأمر الله، والرحمة لعباد الله**؛ فالتعظيم لأمر الله يكون بالخشوع والتواضع وذلك أصل التقوى، والرحمة لعباد الله بالإحسان إليهم»[1].

١٤- قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ ﴾ (الكوثر).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين: وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحُسْن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله، وإلى عِدَتِه وأمره، وفضله وخَلَفِه، عكس حال أهل الكبر والنفرة، وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر، وتركًا لإعانة الفقراء وإعطائهم، وسوء الظن منهم بربهم؛ ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ (الأنعام)، والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه.

والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أَجَلُّ ما يتقرب به إلى الله، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر، والخير الكثير، فَشُكْر المُنْعِم عليه وعبادته أعظمها هاتان العبادتان، بل الصلاة نهاية العبادات، وغاية الغايات»[2].

---

١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢١٤).

٢) السابق (١٦/ ٥٣١-٥٣٢).

١٥- (سورتا: الكافرون والإخلاص):

كان النبي ﷺ يَقْرن بين سورتي الإخلاص والكافرون[1]؛ وذلك أن «سورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فيها التوحيد القولي العلمي، الذي تدل عليه الأسماء والصفات؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ (الإخلاص).

وسورة: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ فيها التوحيد القصدي العملي؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ ﴾ (الكافرون)، وبهذا يتميز من يعبد الله ممن يعبد غيره، وإن كان كل واحد منهما يُقِر بأن الله رب كل شيء، ويتميز عِبَاد الله المخلصون الذين لم يعبدوا إلا إياه، ممن عبد غيره وأشرك به»[2].

---

١) كما ثبت في الركعتين قبل الفجر، وبعد المغرب، والوتر. وللوقوف على الأحاديث الواردة في ذلك وتخريجها، انظر: أصل صفة صلاة النبي ﷺ للألباني: (٢/٤٥٢، ٤٨٨، ٥٣٩).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٩٤).

الباب الرابع

ما يُتَوَصَّل إليه بالنظر في النواحي اللّغوية والجوانب البلاغية[1]

---

١) عامَّة ما يُستخرج من هذا الطريق يُعَدُّ من المُلَح واللّطائف، وليس من صُلْب العلم؛ كما أنها أُمور محتملة غالبًا.

١- الحقيقة والمجاز (عند القائل به)[1]:

التطبيق:

قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (البقرة).

قال القرطبي رحمه الله: «فسُمِّيَ الدين صبغة استعارة ومجازًا، من حيث تظهر أعماله وسَمْته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب»[2].

٢- ما يتصل بمرجع الضمير:

التطبيق:

قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ (طه).

«فإن قلت: لِـمَ أسند الشقاء إلى آدم دون حواء؟

قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله، كما أن في سعادته سعادتهم؛ لأنه القيم عليهم.

الثاني: أنه أُريد بالشقاء التعب في طلب القُوت، وذلك على الرجل دون المرأة؛ لأن الرجل هو الساعي على زوجته»[3].

---

١) الحقيقة عندهم: هي اللفظ المستعمل فيما وُضع له. والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولًا على وجه يصح. انظر: إرشاد الفحول (١/ ٦٢-٦٣).

٢) أحكام القرآن (٢/١٤٤).

٣) تفسير الخازن (٤/٢٨٢). وسيأتي نحوه من كلام ابن القيم رحمه الله (ص ١٣٤).

٣- ما يُؤْخَذ من الإظهار في موضع الإضمار، وعكسه[1]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (النساء).

«ولم يقل: (واستغفرتَ لهم)، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات؛ تفخيمًا لشأن رسول الله ﷺ وتعظيمًا لاستغفاره»[2].

٢- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (الأحزاب).

---

١) الأصل أن يُؤْتَى في موضع الضمير بالضمير؛ لأنه أبين للمعنى، وأخصر للفظ. وربما يُؤْتَى مكان الضمير بالاسم الظاهر لفائدة، وهكذا العكس. انظر: أصول في التفسير للعثيمين (ص٥٧).
والإظهار المقصود به هنا: التصريح باللفظ وإبرازه في الموضع الذي يغني عنه الضمير.
والإضمار: إسقاط الشيء لفظًا لا معنى. فهو تَرْك ذِكْره من اللفظ، وهو مراد بالنية والتقدير. انظر: الكليات (ص ٣٨٤).

٢) الكشاف (١/٥٢٨).

قال ابن الجوزي ﵀: «أي: وأحللنا لك امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها لك، ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾؛ أي: إن آثر نكاحها، ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ﴾؛ أي: خاصة[1].
قال الزجّاج: وإنما قال: ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾، ولم يقل: (لك)؛ لأنه لو قال: (لك)، جاز أن يُتوهَّم أن ذلك يجوز لغير رسول الله ﷺ كما جاز في بنات العمِّ وبنات العمَّات»[2].

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ (الكوثر).

قال ابن عاشور ﵀: «ولم يقل: فَصَلِّ لنا؛ لما في لفظ الرَّب من الإيماء إلى استحْقَاقِهِ العبادة لأجل ربوبيَّته فضلًا عن فَرْطِ إِنْعامه»[3].

٤- الالتفات[4] بأنواعه:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ (النساء).

---

١) زاد المسير (٤٧٤/٣).

٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٣٢/٤).

٣) التحرير والتنوير (٥٧٤/٣٠).

٤) وهو: نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، كالعدول عن الغَيبة إلى الخطاب أو التكلم، أو على العكس. انظر: البرهان للزركشي (٣١٤/٣)، التعريفات للجرجاني (ص ٣٥).

«ولم يقل: (واستغفرتَ لهم)، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات؛ تفخيمًا لشأن رسول الله ﷺ وتعظيمًا لاستغفاره»[1].

٢- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الإسراء).

قال ابن القيم ﷺ: «أعاد الضمير ﴿ جَزَآؤُكُمْ ﴾ بلفظ الخطاب وإن كان ﴿ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ يقتضي الغَيْبَة؛ لأنه اجتمع مُخاطَب وغائب، فغَلَّب المُخاطَب وجعل الغائب تبعًا له؛ كما كان تبعًا له في المعصية والعقوبة، فحسن أن يُجعل تبعًا له في اللفظ، وهذا من حُسن ارتباط اللفظ بالمعنى واتصاله به»[2].

٣- قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ (طه).

قال ابن القيم ﷺ: «تأمل قوله تعالى: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾، كيف شَرَّك بينهما في الخروج وخص الذَّكر بالشقاء؛ لاشتغاله بالكسب والمعاش، والمرأة في خدرها»[3].

---

١) الكشاف (٥٢٨/١)، وقد سبق قريبًا في أمثلة (الإظهار والإضمار)؛ لكونه يصلح مثالًا لكل من هذين الموضعين.

٢) بدائع الفوائد (١٨٦/٤).

٣) السابق (٢٢٩/٣)، وفيه التفات من التثنية إلى المفرد. وقد مضى قريبًا نحوه فيما يتصل بـ(مرجع الضمير) (ص ٥٩).

٥- الفروق اللفظية[١]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ (البقرة).

قال ابن القيم ﷺ: «تأمل كيف قال الله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، فوَحَّدَه، ثم قال: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾، فجمعها؛ فإن الحق واحد، وهو صراط الله المستقيم، الذي لا صراط يُوصِل إليه سواه، وهو عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله ﷺ، لا بالأهواء والبدع، وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق، بخلاف طرق الباطل، فإنها متعددة مُتَشَعِّبة؛ ولهذا يُفْرِد الله ﷻ الحق ويجمع الباطل؛ كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ (البقرة)»[٢].

وقال ﷺ في موضع آخر: «وتأمل قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، ولم يقل: (بنارهم) لتطابق أول الآية؛ فإن النار فيها إشراق وإحراق، فذهب بما فيها من الإشراق -وهو النور- وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، وهو النَّارِيَّة»[٣].

---

١) والمقصود به هنا: بيان وجه التعبير بلفظ دون غيره؛ كقولهم: وجه التعبير بـ(كذا) دون (كذا).
وله نَوْعُ تَعَلُّق بالنوع الذي يأتي بعده، وهو: (المُتشابه اللفظي).
وكذلك ما سيأتي (ص ١٦٣) في بعض أمثلة (دلالات الجملة الاسمية والفعلية)، في وجه التعبير ببعض الأفعال بصيغةٍ كالمضارع أو غيره.

٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٦٥-٦٦).

٣) السابق (٢/ ٦٤).

وقال ﷀ في موضع آخر: «وتأمل كيف قال: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: (بضوئهم)، مع قوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾؛ لأن الضوء هو زيادة في النور، فلو قال: (ذهب الله بضوئهم)، لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابًا بالشيء وزيادته»[1].

٢- قال تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ (البقرة: ١٩).

قال ابن جماعة ﷀ في بيان وجه جمع الظلمات، وإفراد الرعد والبرق: «جوابه: أن المُقْتَضي للرعد والبرق واحد، وهو: السحاب، والمُقْتَضي للظُّلْمَة مُتَعَدِّد وهو: الليل والسحاب والمطر؛ فجمع لذلك»[2].

٣- قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (البقرة).

قال الأصفهاني ﷀ: «إن قيل: لم ذكر الكتابة دون القول؟ قيل: لمّا كانت الكتابة مُتَضَمِّنة للقول وزائدة عليه؛ إذ هو كذب باللسان واليد، صار أبلغ؛ لأن كلام اليد يبقى رسمه، والقول يضمحل أثره»[3].

٤- قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (البقرة).

---

١) السابق (٢/ ٦٥).

٢) كشف المعاني في المتشابه من المثاني (ص ٩٠).

٣) تفسير الراغب (١/ ٢٤١).

قال ابن عاشور رحمه الله: «قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾، دون (تحبها) أو (تهواها) أو نحوهما؛ فإن مقام النبي ﷺ يربو عن أن يتعلق مَيْلُه بما ليس بمصلحة راجحة بعد انتهاء المصلحة العارضة لمشروعية استقبال بيت المقدس؛ ألا ترى أنه لما جاء في جانب قبلتهم بعد أن نُسِخَت جاء بقوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ... (البقرة: ١٢٠)، الآيةَ»[١].

٥- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ (البقرة).

قال الأصفهاني رحمه الله: «إنما قال: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ ولم يقل: (أنفسهم)؛ لأن الإنسان لا يعرف نفسه إلا بعد انقضاء بُرهة من دهره، ويعرف ولده من حين وجوده، ثم في ذكر الابن ما ليس في ذكر النفس؛ فإن الإنسان[٢] عصارة ذاته ونسخة صورته»[٣].

٦- قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ (البقرة).

«الأمر بالاستباق إلى الخيرات قَدْرٌ زائد على الأمر بفعل الخيرات؛ فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات»[٤].

---

١) التحرير والتنوير (٢/ ٢٨).

٢) هكذا في الأصل، ولعل العبارة: فإن الابن عصارة... أو: فابن الإنسان عصارة...

٣) تفسير الراغب (١/ ٣٣٨).

٤) تفسير السعدي (ص ٧٢).

٧- قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (البقرة).

قال الأصفهاني رحمه الله: «إنما قال: ﴿صَلَوَٰتٞ﴾ على الجمع؛ تنبيهًا على كثرتها منه، وأنها حاصلة في الدنيا توفيقًا وإرشادًا، وفي الآخرة ثوابًا ومغفرة»[١].

٨- قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (البقرة).

قال البغوي رحمه الله: «والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير، وأن أرجلها غير سليمة. والله أعلم»[٢].

٩- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ (البقرة).

قال ابن القيم رحمه الله: «ونَبَّه بقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ على أن المَنَّ والأذى ولو تراخى عن الصدقة وطال زمنه، ضَرَّ بصاحبه ولم يحصل له مقصود الإنفاق، ولو أتى بالواو وقال: (ولا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذى)، لأوهمت تقييد ذلك بالحال، وإذا كان المَنّ والأذى المُتَراخِي مُبْطِلًا لأثر الإنفاق مانعًا من الثواب، فالمُقَارِن أولى وأحرى»[٣].

---

١) تفسير الراغب (١/٣٥٤).

٢) تفسير البغوي (١/ ٣٢٤).

٣) طريق الهجرتين (١/ ٣٦٦).

١٠- قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (النساء).

قال ابن القيم ﷺ: «تأمل قوله تعالى في الشفاعة الحسنة: ﴿ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾، وفي السيئة: ﴿ يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾؛ فإن لفظ (الكِفْل) يُشْعِر بالحِمْل والثقل، ولفظ (النصيب) يُشعر بالحظ الذي يَنْصَب طالبُه في تحصيله، وإن كان كل منهما يُستعمل في الأمرين عند الانفراد، ولكن لما قرن بينهما، حسن اختصاص حظ الخير بالنصيب وحظ الشر بالكِفْل»[1].

١١- قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأعراف).

قال ابن القيم ﷺ: «وأما الإخبار عن الرحمة وهي مُؤنثة بالتاء، بقوله: ﴿ قَرِيبٌ ﴾ وهو مُذَكَّر، ففيه اثنا عشر مَسْلكًا... المَسْلَك السادس:... أن الرحمة صفة من صفات الرب ﷻ، والصفة قائمة بالموصوف لا تُفارقه؛ لأن الصفة لا تُفارق موصوفها، فإذا كانت قريبة من المحسنين فالموصوف ﷻ أولى بالقُرب منه، بل قُرب رحمته تبع لقُربه هو ﷻ من المحسنين... فالرب ﷻ قريب من المحسنين، ورحمته قريبة منهم، وقُربه يستلزم قُرب رحمته، ففي حذف التاء هاهنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة، وأن الله تعالى قريب من المحسنين، وذلك يستلزم القُربين: قُربه وقُرب رحمته. ولو قال: (إن رحمة الله قريبة من المحسنين) لم يدل على قُربه تعالى منهم؛ لأن قُربه تعالى أخص من قُرب رحمته... فلا تَسْتَهِن بهذا المسلك فإن له شأنًا، وهو مُتَضَمِّن لسِر بديع من أسرار الكتاب...»[2].

---

١) روضة المحبين (ص ٣٧٨).

٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٨، ٣٠-٣١).

١٢- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الأعراف).

قال ابن القيم رحمه الله: «فَعَدَل سبحانه عن قوله (سَكَن) إلى قوله ﴿سَكَتَ﴾؛ تنزيلًا للغضب منزلة السلطان الآمر الناهي، الذي يقول لصاحبه: افعل، لا تفعل. فهو مُسْتَجِيب لداعي الغضب الناطق فيه، المُتكلم على لسانه»[١].

١٣- قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (التوبة).

قال ابن هبيرة رحمه الله: «إنما لم يقل: (ما كُتِب علينا)؛ لأنه أمر يتعلق بالمؤمن، ولا يصيب المؤمن شيء إلا وهو له؛ إن كان خيرًا فهو له في العاجل، وإن كان شرًّا فهو ثواب له في الآجل»[٢].

١٤- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (يونس).

قال ابن رجب رحمه الله: «وأما الصبر فإنه ضِياء، والضِّياء: هو النور الذي يَحصُل فيه نوع حرارةٍ وإحراق كضياء الشمس، بخلاف القمر، فإنه نورٌ محضٌ، فيه إشراقٌ بغير إحراقٍ؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾، ومِن هُنا وَصفَ اللهُ شريعةَ مُوسَى بأنها ضياء؛ كما قال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأنبياء).

---

١) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان (ص ٣٤).

٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٤٢).

وإن كان قد ذكر أنَّ في التَّوراة نُورًا؛ كما قال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ (المائدة: ٤٤)، ولكنَّ الغَالب على شريعتِهم الضياء؛ لما فيها من الآصار والأغلال والأَثْقال. ووصَفَ شريعة محمدٍ ﷺ بأنها نورٌ؛ لما فيها مَنَ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمحة؛ قال اللهُ تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (المائدة)، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (الأعراف)، ولما كان الصبر شاقًّا على النفوس، يحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه، كان ضياءً»[1].

١٥- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ (هود).

تأمل في الجملة الأخيرة ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾، ولم يقل: (صالحون)؛ لأن الصلاح الشخصي المُنْزَوي بعيدًا لا يأْسَى لضعف الإيمان، ولا يُبالي بهزيمة الخير، فكن صالحًا مُصْلِحًا، وراشدًا مُرْشِدًا[2].

١٦- قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (مريم: ٥٩).

فقوله: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ قال السعدي ﷫: «بمعنى أرادوها وصارت هي همهم، وانقادوا لها وصاروا مطيعين لها؛ فلذلك قال: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ﴾ ولم يقل:

---

١) جامع العلوم والحكم (٢/٢٤-٢٥).

٢) ليدبروا آياته (١٠٩/١).

(تناولوا وأكلوا) ونحو ذلك لهذا المعنى؛ لأن هذا الذم إنما يتناول متبعي الشهوات، فمهما اشتهت نفوسهم فعلوه على أنه المقصود المتبوع»[1].

١٧- قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ (الحج).

قال ابن القيم ﷺ: «المُرْضِع مَن لها ولد تُرضعه. والمُرضِعة من أَلْقَمت الثدي للرضيع، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ أبلغ من (مُرضِع) في هذا المقام؛ فإن المرأة قد تَذهَل عن الرضيع إذا كان غير مُبَاشِر للرضاعة، فإذا التقم الثدي واشتغلت برضاعه لم تَذْهَل عنه إلا لأمر أعظم عندها من اشتغالها بالرضاع.

وتأمل رحمك الله تعالى السر البديع في عدوله سبحانه عن (كل حامل) إلى قوله: ﴿ذَاتِ حَمْلٍ﴾، فإن الحامل قد تُطْلَق على المُهَيَّأة للحمل، وعلى من هي في أول حملها ومبادئه، فإذا قيل: ﴿ذَاتِ حَمْلٍ﴾، لم يكن إلا لمن ظهر حملها وصلح للوضع كاملًا أو سِقْطًا؛ كما يقال: (ذات ولد)»[2].

١٨- قال تعالى: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (الشعراء).

«فإن قلت: لِمَ جَمَع الشافع ووَحَّد الصديق؟ قلت: لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق»[3].

---

١) المواهب الربانية (ص ٥٩).

٢) بدائع الفوائد (٤/ ٢١-٢٢). وقد مضى ذلك (ص ٨٠).

٣) الكشاف (٣/ ٣٢٢).

١٩- قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الأحزاب).

قال صاحب التفسير الكبير ﷺ: «بيانًا لزيادة ثوابهن، كما بين زيادة عقابهن ﴿ نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ في مُقابلة قوله تعالى: ﴿ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾، مع لطيفة وهي أن عند إيتاء الأجر ذكر المُؤْتِي وهو الله، وعندَ العذابِ لَم يُصرِّح بِالمُعذِّبِ فقال: ﴿ يُضَٰعَفْ ﴾ إشارة إلى كمال الرحمة والكرم، كما أن الكريم الحي[1] عند النفع يظهر نفسه وفعله، وعند الضُّر لا يذكر نفسه»[2].

٢٠- قال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ (النجم).

قال ابن عطية ﷺ: «والضلال أبدًا يكون من غير قصد من الإنسان إليه، والغي كأنه شيء يكتسبه الإنسان ويريده، نفى الله تعالى عن نبيه هذين الحالين، وغوى الرجل يغوي: إذا سلك سبيل الفساد والعوج، ونفى الله تعالى عن نبيه أن يكون ضل في هذه السبيل التي أَسْلَكَه الله إياها، وأثبت له تعالى في (الضحى) أنه قد كان قبل النبوءة ضالًّا بالإضافة إلى حاله من الرشد بعدها»[3].

٢١- قال تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الواقعة).

قال ابن عاشور ﷺ: «وتقديم ذِكْر الفاكهة على ذِكْر اللحم قد يكون لأن الفواكه أعز، وبهذا يظهر وجه المخالفة بين الفاكهة ولحم طير فجعل التَّخَيّر

---

١) هكذا في النسخة المطبوعة. ولعلها: (الحيِيّ).

٢) مفاتيح الغيب (١٦٦/٢٥).

٣) المحرر الوجيز (١٩٦/٥).

للأول، والاشتهاء للثاني؛ ولأن الاشتهاء أعلق بالطعام منه بالفواكه، فلذة كسر الشاهية بالطعام لذة زائدة على لذة حُسْن طعمه، وكثرة التَّخَيّر للفاكهة هي لذة تلوين الأصناف»[1].

٢٢- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ (المنافقون).

«ومعنى ﴿ لَا تُلۡهِكُمۡ ﴾: لا تَشْغلكم.

وقد تقول: لماذا لم يقل: (لا تشغلكم)؟ والجواب: أنَّ من الشُّغْل ما هو محمودٌ، فقد يكون شغلًا في حق، كما جاء في الحديث: «**إن في الصلاة لشُغلًا**»[2]، وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴾ (يس: ٥٥)، أما الإلهاء فمما لا خيرَ فيه، وهو مذمومٌ على وجه العموم، فاختار ما هو أحق بالنهي»[3].

٢٣- قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾ (الإنسان).

قال الماوردي ﷺ: «وجمع بين الشاكر والكفور، ولم يجمع بين الشكور والكفور -مع اجتماعهما في معنى المبالغة- نَفْيًا للمبالغة في الشكر وإثباتا لها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يُؤَدَّى، فانتفت عنه المبالغة، ولم تَنْتَف عن الكفر المبالغة، فَقَلَّ شُكره؛ لكثرة النعم عليه، وكَثُر كفره - وإن قل - مع الإحسان إليه»[4].

---

١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٩٥).

٢) أخرجه البخاري (١٢١٦).

٣) لمسات بيانية (١٧٨- ١٧٩).

٤) النكت والعيون للماوردي (٦/١٦٤).

٦- المتشابه اللفظي[1]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ (البقرة)، وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (إبراهيم).

قال ابن كثير ﷺ: «قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ (البقرة)؛ أي: اجعل هذه البُقْعَة بلدًا آمنًا ونَاسَب هذا؛ لأنه قبل بناء الكعبة، وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (إبراهيم)، ونَاسَب هذا هناك؛ لأنَّه -والله أعلَم- كأنَّه وقع دعاء مَرَّة ثانية بَعد بناء البيت واستقرار أهله به، وبعد مَوْلِد إسحاق الذي هو أَصغر سنًّا من إسماعيل بثلاث عشرةَ سنةً؛ ولهذا قَال في آخر الدُّعاء: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (إبراهيم: ٣٩)»[2].

٢- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (البقرة)،

---

١) انظر الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٩٠).

٢) تفسير ابن كثير (١/٤٢٥)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٩٤).

وقال بعد ذلك: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ ﴾ (البقرة).

ففي الآية الأولى قال: ﴿ فَلَا تَقۡرَبُوهَا ﴾، وفي الثانية قال: ﴿ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ﴾، فما وجه ذلك؟

قال السيوطي ﷺ: «لأنَّ الأولَى وردت بعد نَوَاهٍ فناسب النهي عن قُربانِها، والثانية بعد أوامر فناسب النهي عن تعدِّيها وتجاوزها بِأن يُوقَف عندها»[1].

قال ابن عثيمين ﷺ: «قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ﴾؛ أي: لا تتجاوزوها، وقال العلماء: إذا كانت الحدود مما يجب فعله قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ﴾؛ وأما إذا كانت الحدود من المحرمات فإنه تعالى يقول: ﴿ فَلَا تَقۡرَبُوهَا ﴾»[2].

٣- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ ﴾ (البقرة).

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ﴾ (البقرة).

قال ابن القيم ﷺ: «تأمل كيف جَرَّد الخبر هنا عن الفاءِ فقال: ﴿ لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (البقرة: ٢٦٢)، وقَرَنه بالفاءِ في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (البقرة: ٢٧٤)،

---

١) الإتقان في علوم القرآن (٣/٣٩٤).

٢) تفسير القرآن الكريم (البقرة) للعثيمين (٣/ ١٠٩).

فإن الفاءَ الداخلة على خبر المبتدأ الموصول أو الموصوف تُفْهِم معنى الشرط والجزاءِ، وأن الخبر مُسْتَحَقٌ بما تضمنه المبتدأُ من الصِّلَة أو الصفة، فلما كان هنا يقتضي بيان حَصْر المُسَتَحِق للجزاءِ دون غيره، جرد الخبر عن الفاءِ، فإن المعنى: أن الذي ينفق ماله لله ولا يَمُنّ ولا يُؤذي، هو الذي يستحق الأجر المذكور، لا الذي يُنفِق لغير الله... ويَمُن ويُؤذي بنفقته، فليس المقام مقام شرط وجزاءٍ بل مقام بيان للمُسْتَحِق من غيره، وفي الآية الأخرى للمستحق دون غيره.

وفى الآية الأخرى ذَكَر الإنفاق بالليل والنهار سرًّا وعلانية، فذَكَر عموم الأوقات وعموم الأحوال، فأتى بالفاءِ في الخبر؛ ليدل على أن الإنفاق في أي وقت وُجِد من ليل أو نهار، وعلى أية حالة وُجِد من سر وعلانية، فإنه سبب للجزاء على كل حال، فليبادر إليه العبد ولا ينتظر به غير وقته وحاله، ولا يُؤخِّر نفقة الليل إذا حضر إلى النهار، ولا نفقة النهار إلى الليل، ولا ينتظر بنفقة العلانية وقت السر، ولا بنفقة السر وقت العلانية، فإن نفقته فى أي وقت وعلى أي حال وُجِدَت سبب لأجره وثوابه، فتدبر هذه الأسرار في القرآن؛ فلعلك لا تظفر بها تمر بك في التفاسير، والمنة والفضل لله وحده لا شريك له»[1].

٤ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ (البقرة)، وفي سورة إبراهيم: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ (إبراهيم).

---

١) طريق الهجرتين (ص ٣٦٦).

قال ابن جماعة ﵀: «إن المَثَل هنا للعامل، فكان تقديم نَفْي قُدرته وصِلَتها أنسب؛ لأن ﴿ عَلَىٰ ﴾ من صِلَة القُدرة، وآية (إبراهيم)؛ المثل للعمل؛ لقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ (إبراهيم: ١٨)، تقديره: مَثَل أعمال الذين كفروا»[1].

٥- قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾ (الطلاق: ٢).

قال ابن القيم ﵀: «قال تعالى في شهادة المال: ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ (البقرة:٢٨٢)، وقال في الوصية والرجعة: ﴿ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (الطلاق: ٢)؛ لأن المُسْتَشْهِد هناك صاحب الحق، فهو يأتي بمن يرضاه لحفظ حَقّه، فإن لم يكن عدلًا كان هو المُضَيِّع لحقه، وهذا المُسْتَشْهِد يَسْتَشْهِد بحق ثابت عنده، فلا يكفي رضاه به، بل لا بد أن يكون عدلًا في نفسه، وأيضا فإن الله ﷻ قال هناك: ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾؛ لأن صاحب الحق هو الذي يحفظ ماله بمن يرضاه، وإذا قال من عليه الحق: أنا راض بشهادة هذا علي؛ ففي قبوله نزاع، والآية تدل على أنه يُقْبَل، بخلاف الرجعة والطلاق؛ فإن فيهما حقًّا لله، وكذلك الوصية فيها حق لغائب» اهـ[2].

٦- قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ (آل عمران)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ (آل عمران).

---

١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني (١٢٠/١).

٢) إعلام الموقعين (٧٤/١).

قال ابن كثير رحمه الله: «قالت في مُناجَاتها: ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾؛ تقول: كيف يُوجَد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ولا من عَزْمي أن أتزوج، ولست بغيًّا؟ حاشا لله. فقال لها المَلَكُ -عن الله عز وجل- في جواب هذا السؤال: ﴿ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾؛ أي: هكذا أَمْر الله عظيم، لا يُعجِزُه شيء. وصَرَّح ها هنا بقوله: ﴿ يَخْلُقُ ﴾ ولم يقل: (يَفْعَلُ) كما في قصة زكريا، بل نَصَّ ها هنا على أنه يخلُقُ؛ لئلا يُبقي شُبهة، وأَكَّد ذلك بقوله: ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾»[1].

٧- قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الأنعام)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾(الإسراء).

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: ولا تَقتلوهم من فَقْرِكُمُ الحاصل. وقال في سورة (سُبْحَانَ): ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾؛ أي: خشية حصول فَقْرٍ في الآجل؛ ولهذا قال هُناك: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾، فبدأ برزقهم؛ لِلاهتمام بهم؛ أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله»[2].

٨- قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (الأعراف)، وقال: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ (فصلت)، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ (غافر: ٥٦).

---

١) تفسير ابن كثير (٤٤/٢).

٢) السابق (٣٦٢/٣).

قال ابن القيم ﵀: «وتأمَّل حِكْمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السميع العليم في الأعراف والسجدة (فُصِّلَت): ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (الأعراف)، ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ (فصلت)، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يُؤنَسُون ويُرون بالأبصار بلفظ: ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ في سورة حم المؤمن، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ (غافر)؛ لأن أفعال هؤلاء أفعال مُعَايَنة تُرى بالبصر، وأما نزغ الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم؛ فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يُرى بالبصر ويُدرك بالرؤية والله أعلم»[1].

وقال ﵀: «وتأمل سِرّ القرآن الكريم كيف أَكَّد الوصف بالسميع العليم بذِكْر صيغة ﴿ هُوَ ﴾ الدال على تأكيد النِّسْبة واختصاصها، وعَرَّف الوصف بالألف واللام في سورة ﴿ حمٓ ﴾ (فصلت)؛ لاقتضاء المقام لهذا التأكيد، وتركه في سورة الأعراف لاستغناء المقام عنه؛ فإن الأمر بالاستعاذة في سورة ﴿ حمٓ ﴾ وقع بعد الأمر بأشق الأشياء على النفس وهو مُقَابَلة إساءة المُسيء بالإحسان إليه، وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الصابرون، ولا يُلَقَّاه إلا ذو حظ عظيم كما قال الله تعالى.

والشيطان لا يَدَع العبد يفعل هذا، بل يُرِيه أن هذا ذُل وعجز، ويُسَلِّط عليه عدوه فيدعوه إلى الانتقام ويزينه له، فإن عجز عنه دعاه إلى الإعراض عنه، وألا

---

١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٨-٢٣٩).

يُسيء إليه ولا يُحْسِن، فلا يُؤْثِر الإحسانَ إلى المسيء إلا من خالفه وآثر الله تعالى وما عنده على حَظّه العاجل.

فكان المقام مقام تأكيد وتحريض، فقال فيه: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ (فصلت)، وأما في سورة الأعراف فإنه أمره أن يُعرِض عن الجاهلين، وليس فيها الأمر بمُقَابَلة إساءتهم بالإحسان، بل بالإعراض، وهذا سَهْل على النفوس غير مُسْتَعْص عليها، فليس حِرْص الشيطان وسَعيه في دَفْع هذا كحِرْصِه على دَفع المُقابَلة بالإحسان، فقال: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (الأعراف)»[1].

وقال في موضع آخر: «وقال هاهنا: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (فصلت:٣٦)، فأكد بـ(إن)، وبضمير الفصل، وأتى باللام في: ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾. وقال في الأعراف: ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ٢٠٠).

وسر ذلك -والله أعلم- أنه حيث اقتصر على مُجرد الاسم ولم يُؤكده أُريد إثبات مُجرد الوصف الكافي في الاستعاذة والإخبار بأنه سبحانه يسمع ويعلم، فيسمع استعاذتك فيجيبك، ويعلم ما تستعيذ منه فيدفعه عنك؛ فالسمع لكلام المُستعيذ، والعلم بالفعل المُستعاذ منه، وبذلك يحصل مقصود الاستعاذة، وهذا المعنى شامل للموضعين، وامتاز المذكور في سورة فصلت بمزيد التأكيد والتعريف والتخصيص؛ لأن سياق ذلك بعد إنكاره سبحانه على الذين شكوا في سمعه لقولهم وعلمهم به، كما جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: «اجتمع عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، كثيرٌ شَحْم بطونهم، قليلٌ فِقْه قلوبهم، فقالوا:

---

١) السابق (٢/٢٦٧ - ٢٦٨).

أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال أحدهم: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، فقال الآخر: إن سمع بعضه سمع كله. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (فصلت)»[1]؛ فجاء التوكيد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. في سياق هذا الإنكار؛ أي: هو وحده الذي له كمال قوة السمع وإحاطة العلم، لا كما يظن به أعداؤه الجاهلون: أنه لا يسمع إن أخفوا، وأنه لا يعلم كثيرًا مما يعملون. وحَسَّن ذلك أيضًا: أن المأمور به في سورة فصلت دَفْع إساءتهم إليه بإحسانه إليهم، وذلك أشق على النفوس من مُجرد الإعراض عنهم؛ ولهذا عَقَّبه بقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت)، فحَسُن التأكيد لحاجة المُستعيذ.

وأيضًا، فإن السياق هاهنا لإثبات صفات كماله، وأدلة ثبوتها، وآيات ربوبيته، وشواهد توحيده؛ ولهذا عَقَّب ذلك بقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ (فصلت:٣٧)، وبقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ (فصلت: ٣٩)»[2].

٩- قال تعالى عن إبراهيم ﷺ: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ (النحل:١٢١)، وقال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠)، «فجَمَع النعمة في آية النحل جَمْع قِلَّة (أنعم)؛ لأن نعم الله لا تُحصى، وإنما يستطيع الإنسان معرفة بعضها وشكرها،

---

١) أخرجه البخاري (٤٨١٧، ٧٥٢١)، ومسلم (٢٧٧٥).

٢) إغاثة اللهفان (٩٦/١- ٩٧).

وهو ما كان من إبراهيم ﷺ، فذَكَر جَمْع القِلَّة في هذا المقام، أما آية لقمان فجمعها جَمْع كَثْرة (نِعَمَه)؛ لأنها في مقام تعداد نعمه وفضله على الناس جميعًا»[1].

١٠- في سورة الكهف قال الخضر ﷺ: «في الأولى: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ (الكهف:٧٩)، وفي الثانية: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ (الكهف)، وفي الثالثة: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (الكهف: ٨٢) فما وجه كل واحدة من هذه الألفاظ؟

قلت: إنه لما ذكر العيب أضافه إلى نفسه على سبيل الأدب مع الله تعالى، فقال: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾، ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله ﷻ؛ لأن حفظ الأبناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس إلا لله ﷻ؛ فلأجل ذلك أضافه إلى الله تعالى»[2].

١١- قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأنبياء).

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الصافات).

---

١) أسرار البيان في التعبير القرآني (باب: البنية في التعبير القرآني).

٢) تفسير الخازن (٢٢٨/٤).

قال الإسكافي ﷺ[1]: «للسائل أن يسأل فيقول: هذا في قصة واحدة، فجاء في موضع: ﴿ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ (الأنبياء:٧٠)، وفي موضع: ﴿ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ (الصافات:٩٨)، فهل في كلٍّ من المكانين ما يختص باللفظ الذي خصّ به؟

والجواب أن يقال: أمّا في سورة الأنبياء فإن الله تعالى أخبر فيها عن إبراهيم ﷺ أنه قال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ (الأنبياء:٧٥)، ثم أخبر عن الكفار لمّا ألقوه في النار وأرادوا به كيدًا: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ (الأنبياء:٧٠)، والكيد: سعي في مضرة لِتُورَد على غفلة، فذكر مُكَايَدَة بينهم وبين إبراهيم ﷺ، فكادهم ولم يكيدوه فخسرت تجارتهم وعادت عليهم مُكَايَدَتُهم؛ لأنه كسّر أصنامهم ولم يبلغوا من إحراقه مرادهم، فذكر الأخسرين؛ لأنهم خسروا فيما عاملهم به وعاملوه من المُكَايَدة التي أُضيفت إليهما.

وأما الآية التي في سورة الصافات فإن الله تعالى أخبر عن الكفار فيها بما اقتضى من الأسفلين، وهو أنه قال: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧﴾، فبنوا له بناء عاليًا ورفعوه فوقه ليرموا به من هناك إلى النار التي أَجَّجُوها، فلما عَلَوا ذلك البناءَ وحطّوه منه إلى أسفل، عادوا هم الأسفلين؛ لأنهم أُهلِكُوا في الدنيا وسَفُل أمرهم في الأُخْرى، والله تعالى نجّى نبيّه ﷺ وأعلاه عليهم، فانقلب عالي أمرهم في صعود البناء وسافل أمر إبراهيم ﷺ.

فلمّا حُطّ إلى النار، صار ذلك سَافِلًا، وأمر النبي ﷺ عاليًا؛ فلذلك اختصت هذه الآية بقوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾ (الصافات)»[2].

---

١) هو: محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله، عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان. كان إسكافًا -يُقال للخَرّاز أو الصانع- ثم خطيبًا بالريّ. توفي سنة: ٤٢٠هـ انظر: الوافي بالوفيات (٣/ ٢٧١)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٢٧-٢٢٨).

٢) درة التنزيل (١/ ٩٠٥- ٩٠٦).

١٢- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القصص).

وقال: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الفرقان).

قال ابن القيم رحمه الله: «وكان رَفْع السلام مُتعينًا؛ لأنه حكاية ما قد وقع، ونَصْب السلام في آية الفرقان مُتعينًا؛ لأنه تعليم وإرشاد لما هو الأكمل والأولى للمؤمن أن يَعْتَمِدَه إذا خاطبه الجاهل»[١].

١٣- قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سبأ).

وقال: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (يونس).

قال ابن القيم رحمه الله: «هل يظهر فرق بين قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾ (يونس:٣١)، وبين قوله في سورة سبأ: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ (سبأ:٢٤)؟

قيل: هذا من أدق هذه المواضع وأغمضها وألطفها فَرْقًا، فَتَدَبَّر السياق تجده نَقِيضًا لما وقع، فإن الآيات التي في يونس سِيقَت مَسَاق الاحتجاج عليهم بما أقروا به ولم يمكنهم إنكاره، من كون الرب تعالى هو رازقهم ومالك أسماعهم وأبصارهم ومُدَبِّر أمورهم وغيرها، ومُخْرِج الحي من الميت والميت من الحي، فلما كانوا مُقِرِّين بهذا كله، حَسُن الاحتجاج به عليهم، أن فاعل هذا هو الله الذي لا إله غيره،

١) بدائع الفوائد (٢/ ١٦٠).

فكيف يعبدون معه غيره ويجعلون له شركاء لا يملكون شيئًا من هذا ولا يستطيعون فِعْل شيء منه؟! ولهذا قال بعد أن ذَكَر ذلك من شأنه تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: لا بُد أنهم يُقِرُّون بذلك ولا يجحدونه، فلا بُد أن يكون المذكور مما يُقِرُّون به، والمُخَاطَبون المُحْتَج عليهم بهذه الآية إنما كانوا مُقِرِّين بنزول الرزق من قِبَل هذه السماء التي يشاهدونها بالحس، ولم يكونوا مُقِرِّين ولا عالمين بنزول الرزق من سماء إلى سماء حتى تنتهي إليهم، ولم يَصِل علمهم إلى هذا، فأُفردت لفظ السماء هنا، فإنه لا يمكنهم إنكار مجيء الرزق منها، لا سيما والرزق هاهنا إن كان هو المطر فمجيئه من السماء التي هي السحاب، فإنه يُسَمَّى سماء؛ لِعُلُوِّه، وقد أخبر سبحانه أنه بَسَط السحاب في السماء بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ (الروم: ٤٨)، والسحاب إنما هو مبسوط في جهة العلو لا في نفس الفلك، وهذا معلوم بالحس فلا يُلتفت إلى غيره.

فلما انتظم هذا بذِكْر الاحتجاج عليهم، لم يصلح فيه إلا إفراد السماء؛ لأنهم لا يُقِرُّون بما ينزل من فوق ذلك من الأرزاق العظيمة للقلوب والأرواح، ولا بد من الوحي الذي به الحياة الحقيقية الأبدية، وهو أولى باسم الرزق من المطر الذي به الحياة الفانية المُنْقَضِية، فما ينزل من فوق ذلك من الوحي والرحمة والألطاف والموارد الربانية والتَّنَزُّلات الإلهية وما به قِوَام العالَم العُلوي والسُّفْلي من أعظم أنواع الرزق، ولكن القوم لم يكونوا مُقرين به، فخُوطِبوا بما هو أقرب الأشياء إليهم بحيث لا يمكنهم إنكاره.

وأما الآية التي في سورة سبأ، فلم ينتظم بها ذِكْر إقرارهم بما ينزل من السموات؛ ولهذا أَمَر رسوله بأن يتولى الجواب فيها، ولم يذكر عنهم أنهم المُجيبون المُقِرُّون، فقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾، ولم يَقُل: ﴿فسيقولون الله﴾، فأمر

تعالى نبيه ﷺ أن يُجيب بأن ذلك هو الله وحده الذي ينزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السموات السبع. وأما الأرض فلم يَدْعُ السياق إلى جمعها في واحدة من الاثنين؛ إذ يُقر به كل أحد مؤمن وكافر وبَر وفاجر»[1].

١٤ - قال تعالى: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الواقعة).

وقوله سبحانه: ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الواقعة).

قال ابن هبيرة رحمه الله: «تأملت دخول اللام وخروجها، فرأيت المعنى: أن اللام تقع للاستقبال؛ تقول: لأَضْرِبَنَّك؛ أي: فيما بَعْد لا في الحال. والمعنى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾ (الواقعة)؛ أي: في مُسْتَقْبَل الزمان إذا تم فاستحصد، وذلك أشد العذاب؛ لأنها حالة انتهاء تعب الزارع واجتماع الدَّيْن عليه؛ لرجاء القضاء بعد الحصاد، مع فراغ البيوت من الأقوات.

وأما في الماء، فقال: ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴾ (الواقعة: ٧٠)؛ أي: الآن؛ لأنا لو أَخَّرنا ذلك، لشرب العطشان وادخر الإنسان»[2].

١٥- قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (المجادلة)، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ (المجادلة).

قال الإسكافي رحمه الله: «للسائل أن يسأل عن خاتمتي الآيتين، وهما: ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ و﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ وعما أوجب اختصاص كل واحدة منهما بما ذُكِر فيها؟

---

١) السابق (١/ ١١٧-١١٨).

٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٥٠-١٥١).

والجواب أن يُقال: لَمّا قال في الأُولى: ﴿ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾؛ أي: يُبين لكم ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله، وذَكَر الحدود التي حَدَّها لِعِبَادِهِ، ثُم سَمَّى مَن لم يُؤمِن كافرًا باسمه وتَوَعَّدَه بالعذاب المُوجِع المُبَالغ فيه، وهو ما يُخوّف الله تعالى به عباده، نعوذ بالله منه.

وأما قوله: ﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ فلأن قبله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا ﴾؛ فَضُمِّن معنى الفعلين الشرط والجزاء، فجعل الكَبْت جزاء مَن آثر حِزْبًا غير حِزْب الله ورسوله، وحَدًّا غير حَدّهما، والكَبْت: الإذلال، وقيل: الغَلْبُ والقَهْر والتَّخْييب؛ وكل ذلك مُتَقَارِب»[1].

١٦- قال تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الذاريات)، وفي سورة المعارج: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (المعارج).

قال الغرناطي ﷺ: «يُسأل عن وجه زيادة الصفة في سورة المعارج من قوله: ﴿ مَّعْلُومٌ ﴾ وسقوط ذلك في الذاريات؟ وهل كان يُنَاسِب عكس الوارد؟

والجواب، والله أعلم: أن آية المعارج قد تَقَدَّمها مُتَّصِلًا بها قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المعارج)، والمُراد بالصلاة هنا: المكتوبة، وأيضًا يُقْرَن بها في آي الكتاب الزكاة المفروضة، وبها فَسَّر المُفسِّرون الحق المعلوم في آية المعارج.

قال الزمخشري: لأنها مُقَدَّرة معلومة.

قلت: وليس في المال حق مُقَدَّر معلوم وقتًا ونِصَابًا ووجوبًا غيرها، فلما أُرِيد بالحق هنا الزكاة أُتبع بوصف يُحْرِز المقصود»[2].

---

١) درة التنزيل (١/١٢٥٧-١٢٥٨).

٢) ملاك التأويل (٢/٤٥٠).

١٧- قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١ ﴾ (المعارج).

وقال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ۝١٧ ﴾ (الرحمن).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢٨ ﴾ (الشعراء).

وقال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ ﴾ (المزمل).

قال ابن القيم ﷺ: «مَجيء المَشرِق والمَغرِب في القرآن تارة مجموعين، وتارة مُثَنَّيين، وتارة مُفْرَدين؛ لاختصاص كل محل بما يقتضيه من ذلك؛ فالأول كقوله: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ ﴾ (المعارج: ٤٠)، والثاني كقوله: ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ۝١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨ ﴾(الرحمن)، والثالث كقوله: ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ ﴾ (المزمل).

فَتَأَمَّلْ هذه الحكمة البالغة في تَغَايُر هذه المواضع في الإفراد والجمع والتثنية بحسب مَوَادِّها، يُطْلِعك على عظمة القرآن الكريم وجلالته، وأنه تنزيل من حكيم حميد.

فحيث جُمِعَت، كان المُراد بها مَشَارِق الشمس ومَغَارِبها في أيام السنة؛ وهي مُتعددة.

وحيث أُفردت كان المُراد أُفُقَي المَشرِق والمَغْرِب.

وحيث ثُنِّيا كان المُراد مَشْرِقَي صُعودها وهُبوطها ومَغْرِبيهما، فإنها تَبتدئ صاعدة حتى تنتهي إلى غاية أَوْجِها وارتفاعها، فهذا مَشرِق صُعُودِها، وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء. فجعل مَشرِق صُعودها بجُملته مَشرِقًا واحدًا، ومَشرِق

هُبوطها بجُملته مَشْرِقًا واحدًا، ويُقابِلها مَغْرِباها؛ فهذا وجه اختلاف هذه في الإفراد والتثنية والجمع.

وأما وجه اختصاص كل موضع بما وقع فيه، فلم أَرَ أحدًا تعرض له ولا فتح بابه، وهو بحمد الله بَيِّن من السِّيَاق، **فتأمل وُرُوده مُثَنًّى في سورة الرحمن**؛ لما كان مَسَاق السورة مَسَاق المثاني المُزْدَوَجَات، فَذَكَر أولًا نوعي الإيجاد: وهما الخلق والتعليم، ثم ذَكَر سِرَاجَي العالم ومَظْهَري نوره: وهما الشمس والقمر، ثم ذَكَر نَوْعَي النبات، ما قام منه على ساق وما انبسط منه على وجه الأرض: وهما النجم والشجر، ثم ذَكَر نَوعَي السماء المرفوعة والأرض الموضوعة، وأخبر أنه رفع هذه ووضع هذه ووسَّطَ بينهما ذِكْر الميزان، ثم ذَكَر العدل والظلم في الميزان، فأمر بالعدل ونهى عن الظلم، ثم ذَكَر نَوعَي الخارج من الأرض: وهما الحبوب والثمار، ثم ذكر خَلْق نوعي المكلفين: وهما نوع الإنسان ونوع الجان، ثم ذَكَر نوعي المَشرِقَين ونَوعَي المَغْرِبين، ثم ذكر بعد ذلك البحرين: الملح والعذب.

فتأمل حُسْن تثنية المَشْرِق والمَغْرِب في هذه السورة وجلالة ورُودهما لذلك، وقدِّر موضعهما اللفظ مُفْرَدًا ومجموعًا، تجد السمع يَنْبُو عنه، ويشهد العقل بمُنَافَرَته للنَّظْم.

ثم تأمل ورُودهما مُفْرَدين في سورة المُزَّمِّل؛ لمَّا تقدمهما ذِكْر الليل والنهار، فأَمَر رسولَه ﷺ بقيام الليل، ثم أخبره أن له في النهار سَبْحًا طويلًا، فلما تقدم ذِكْر الليل وما أُمِر به فيه، وذِكْر النهار وما يكون منه فيه، عَقَّب ذلك بذِكْر المَشْرِق والمَغْرِب اللذين هما مَظْهَر الليل والنهار، فكان ورُودُهما مُفَردين في هذا السياق أحسن من التثنية والجمع؛ لأن ظهور الليل والنهار هما واحد، فالنهار أبدًا يظهر

من المَشْرِق، والليل أبدًا يظهر من المَغْرِب[1].

ثم تأمل مجيئهما مجموعين في سورة المعارج في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١﴾ (المعارج)، لما كان هذا القَسَم في سياق سَعَة ربوبيته وإحاطة قُدرته، والمُقسَم عليه أرباب هؤلاء، والإتيان بخير منهم؛ ذَكَر المَشَارِق والمَغَارِب؛ لتضَمُّنِهما انتقال الشمس التي هي أحد آياته العظيمة الكبيرة ونَقْله سبحانه لها وتصريفها كل يوم في مَشْرِق ومَغْرِب، فمَن فعل هذا كيف يُعجِزه أن يُبدِّل هؤلاء وينقل إلى أمكنتهم خيرًا منهم، وأيضًا فإن تأثير مَشَارِق الشمس ومَغَارِبها في اختلاف أحوال النبات والحيوان أمر مشهور، وقد جعل الله تعالى ذلك بحكمته سببًا لِتَبَدُّل أجسام النبات وأحوال الحيوانات وانتقالها من حال إلى غيره، ويبدل الحر بالبرد والبرد بالحر، والصيف بالشتاء والشتاء بالصيف، إلى سائر تَبَدُّل أحوال الحيوان والنبات والرياح والأمطار والثلوج وغير ذلك من التَّبَدُّلات والتَّغيرات الواقعة في العالم بسبب اختلاف مَشَارِق الشمس ومَغَارِبها، كان ذلك تقدير العزيز العليم، فكيف لا يَقْدِر مع ما يَشْهَدُونه من ذلك على أن يُبدِّل خيرًا منهم، وأكد هذا المعنى بقوله: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾، فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظة الجمع.

---

١) وقال أيضًا: «وأما في سورة المُزَّمِّل فَذَكَر المَشرِق والمَغرِب بلفظ الإفراد؛ لما كان المقصود ذِكْر ربوبيته ووحدانيته، وكما أنه تَفَرَّد بربوبية المَشرِق والمَغرِب وحده، فكذلك يُجب أن يتفرد بالربوبية والتوكل عليه وحده، فليس للمَشرِق والمَغرِب رب سواه، فكذلك ينبغي ألا يُتَّخَذ إله ولا وكيل سواه. وكذلك قال موسى لفرعون حين سأله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣﴾ (الشعراء)، فقال: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢٨﴾ (الشعراء)، وفي ربوبيته سبحانه للمشارق والمَغَارِب تنبيه على ربوبيته السموات وما حوته من الشمس والقمر والنجوم، وربوبيته ما بين الجهتين، وربوبيته الليل والنهار وما تضمناه...» اهـ التبيان في أقسام القرآن (ص ١٩٥- ١٩٦).

ثم تأمل كيف جاءت أيضًا في سورة الصافات مجموعة في قوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ (الصافات)، لَمَّا جاءت مع جملة المربوبات المُتعددة وهي السموات والأرض وما بينهما، كان الأحسن مجيئها مجموعة؛ لينتظم مع ما تقدم من الجمع والتَّعَدُّد.

ثم تأمل كيف اقتصر على المَشَارِق دون المَغَارِب؛ لاقتضاء الحال لذلك، فإن المَشَارِق مَظْهَر الأنوار وأسباب انتشار الحيوان وحياته وتَصَرُّفه ومَعَاشِه وانبساطه، فهو إنشاء مَشْهُود، فَقَدَّمه بين يدي الرد على مُنْكِري البعث، ثم ذَكَر تَعجُّب نَبِيّه من تكذيبهم واستبعادهم البعث بعد الموت، ثم قرر البعث وحالهم فيه، وكان الاقتصار على ذكر المشارق هاهنا في غاية المُناسَبة للغرض المطلوب والله أعلم»[1].

١٨- قال شيخ الإسلام ﷺ: «الشَّر لم يُضف إلى الله في الكتاب والسُّنَّة إلا على أحد وجوه ثلاثة: **إمَّا بطريق العموم**؛ كقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر:٦٢)، **وإمَّا بطريقة إضافته إلى السَّبب**؛ كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ (الفلق:٢)، **وإمَّا أن يُحذف فاعله**؛ كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ (الجن)، وقد جمع في الفاتحة (الأصناف الثلاثة) فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وهذا عام، وقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ۝٧﴾ فحذَف فاعل الغضب. وقال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فأضاف الضلال إلى المخلوق. ومن هذا قول الخليل: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء:٨٠)، وقول الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ (الكهف:٧٩)، ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف:٨١)، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ (الكهف:٨٢)»[2].

---

١) بدائع الفوائد (١/ ١٢١-١٢٣). وانظر: التبيان في أقسام القرآن (ص ١٩٤- ١٩٦).

٢) مجموع الفتاوى (٨/٥١١-٥١٢). وانظر: منهاج السنة (٣/١٤٣)، (٥/٤١٠).

٧- دلالات الجملة (الاسمية والفعلية):

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (البقرة).

قال الأصفهاني رحمه الله[1]: «إن قيل: لم ذكر ﴿ يَكْسِبُونَ ﴾ بلفظ المستقبل، و﴿ كَتَبَتْ ﴾ بلفظ الماضي؟ قيل: تنبيهًا على ما قال النبي ﷺ: «**من سنّ سُنّة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها، ومَن سنّ سُنة سيئة، فعليه وِزْرُها ووِزْرُ من عمل بها إلى يوم القيامة**»[2]، فَنَبَّه بالآية أن ما أضلّوه وأثبتوه من التأويلات الفاسدة التي يعتمدها الجهلة هو اكتساب وِزْر يكتسبونه حالًا فحالًا»[3].

٢- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (البقرة).

قال ابن كثير رحمه الله: «قال الزمخشري في قوله: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾: إنما لم يقل: (وفريقًا قتلتم)؛ لأنه أراد بذلك وَصْفَهم في المستقبل أيضًا؛ لأنهم

---

١) هو: الحسين بن محمد بن المُفَضَّل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يُقْرَن بالغزالي، توفي سنة: ٥٠٢هـ انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)، الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٥).

٢) رواه مسلم (١٠١٧). مع اختلاف يسير في اللفظ.

٣) تفسير الراغب (٢٤١/١).

حاولوا قتل النبي ﷺ بالسم والسحر، وقد قال ﷺ في مرض موته: «**ما زالت أَكْلَة خيبر تُعَاوِدُني؛ فهذا أوان انقطاع أَبْهَرِي**»[1]»[2].

قال ابن القيم ﷺ: «فلما أراد الله إكرامه بالشهادة، ظهر تأثير ذلك الأثر الكامن من السُّم؛ ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، وظهر سِرّ قوله تعالى لأعدائه من اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، فجاء بلفظ ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ بالماضي الذي قد وقع منه وتحقق، وجاء بلفظ ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بالمستقبل الذي يتوقعونه، وينتظرونه، والله أعلم»[3].

٣- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأنفال).

«فقد جاء في صدر الآية بالفعل: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾، وجاء بعده بالاسم: ﴿مُعَذِّبَهُمْ﴾؛ وذلك أنه جعل الاستغفار مانعًا ثابتًا من العذاب، بخلاف بقاء الرسول بينهم فإنه -أي العذاب- مَوْقُوت ببقائه بينهم؛ فذكر الحالة الثابتة بالصيغة

---

١) أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه (٤٤٢٨). والأَبْهَر: عِرْق في الظهر، وهما أَبْهَرَان. وقيل: هما الأَكْحَلَان اللذان في الذراعين. وقيل: هو عِرْق مُسْتَبْطِنٌ القلب، فإذا انقطع لم تبق معه حياة. وقيل: الأَبْهَر عِرْق مَنْشَؤُه من الرأس ويمتد إلى القدم، وله شرايين تتصل بأكثر الأطراف والبدن، فالذي في الرأس منه يُسَمَّى النَّأْمَة، ومنه قولهم: أسكتَ الله نَأْمَته؛ أي: أماته، ويمتد إلى الحَلْق فيسمى فيه الوريد، ويمتد إلى الصدر فيسمى الأَبْهر، ويمتد إلى الظهر فيسمى الوَتِين، والفؤاد مُعَلَّق به، ويمتد إلى الفَخِذ فيسمى النَّسَا، ويمتد إلى الساق فيسمى الصَّافِن. النهاية لابن الأثير (١٨/١)، م: (أبهر).

٢) تفسير ابن كثير (٣٢٣/١)، مع مُغَايَرة في عبارة الزمخشري في الكشاف (١/ ١٦٣).

٣) زاد المعاد (١١٣/٤).

الاسمية، والحالة المَوْقُوتة بالصيغة الفعلية، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾ (القصص)؛ فالظلم من الأسباب الثابتة في إهلاك الأمم، فجاء بالصيغة الاسمية للدلالة على الثبات، ثم انظر كيف جاءنا بالظلم بالصيغة الاسمية أيضًا دون الفعلية، فقال: ﴿وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾، ولم يقل: (يظلمون)؛ وذلك معناه: أن الظلم كان وصفًا ثابتًا لهم، مُسْتَقرًّا فيهم، غير طارئ عليهم، فاستحقوا الهلاك بهذا الوصف السَّيِّئ.

فانظر كيف ذكر أنه يرفع العذاب عنهم باستغفارهم، ولو لم يكن وصفًا ثابتًا فيهم، وأنه لا يهلكهم إلا إذا كان الظلم وصفًا ثابتًا فيهم، فإنه جاء بالاستغفار بالصيغة الفعلية: ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾، وجاء بالظلم بالصيغة الاسمية: ﴿ظَٰلِمُونَ﴾، فانظر إلى رحمة الله ﷻ بخلقه»[1].

٤- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩﴾ (هود).

قال ابن القيم ﵀: «أما السؤال العاشر -وهو السِّر في نَصْب سَلامِ ضَيفِ إبراهيم الملائكة، ورَفْعِ سَلامِه-: فالجواب: أنك قد عَرفتَ قول النُّحَاة فيه، أن سَلَام الملائكة تَضَمَّن جُملة فعلية؛ لأن نَصْب السَّلَام يدل على: (سَلَّمْنا عليك سلامًا)، وسلام إبراهيم تَضَمَّن جُملة اسمية؛ لأن رَفْعَه يدل على أن المعنى: (سَلامٌ عليكم). والجملة الاسمية تدل على الثبوت والتَّقَرُّر، والفعلية تدل على الحُدُوث والتَّجَدُّد، فكان سَلامه عليهم أكمل من سلامهم عليه، وكان له من مقامات الرد ما يليق بمنصبه ﷺ، وهو مقام الفضل؛ إذ حَيَّاهم بأحسن من تحيتهم. هذا تقرير ما قالوه...».

---

١) التعبير القرآني (ص٢٦).

إلى أن قال ﷺ: «فحصل من الفرق بين الكلامين في حكاية سَلَام إبراهيم ورَفْعِه ونَصْب ذلك إشارة إلى معنى لطيف جدًّا، وهو أن قوله: (سَلامٌ عليكم) من دين الإسلام، المُتَلَقَّى عن إمام الحنفاء وأبي الأنبياء، وأنه من مِلَّة إبراهيم التي أمر الله بها وباتِّباعِها، فحكى لنا قوله؛ ليحصل الاقتداء به والاتباع له، ولم يَحْكِ قول أضيافه، وإنما أخبر به على الجملة دون التفصيل، والله أعلم»[1].

٨- ما يرجع إلى تصريف اللفظ:

التطبيق:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (البقرة).

قال ابن عاشور ﷺ: «من لطائف اللغة العربية: أن مادة الاتصاف بالكِبْر لم تجئ منها إلا بصيغة (الاستفعال) أو (التَّفَعُّل)؛ إشارة إلى أن صاحب صفة الكِبْر لا يكون إلا مُتَطَلِّبًا الكِبْر، أو مُتَكَلِّفًا له، وما هو بكبير حقًّا»[2].

---

١) بدائع الفوائد (٢/١٥٧-١٥٨).

٢) التحرير والتنوير (١/٤٢٥).

وهذا إنما يَصْدُق في حق المخلوق. لكن يُشْكِل عليه ما يُضَاف إلى الله تعالى، فمن أسمائه (المُتَكَبِّر)، وهو مُتَضَمِّن لصفة التَّكَبُّر. وليس ذلك مما له اتصال بالتَّكَلُّف.

مع أن ابن عاشور نفسه قال في هذا الموضع من كتابه: «الاستكبار: يعني التزايد في الكِبْر؛ لأن السين والتاء في قوله: (استكبر) للمبالغة لا للطلب» اهـ

٩- ما يرجع إلى معاني الحروف، ودلالاتها، والتضمين[1] (تضمين الحرف معنى الحرف، وتضمين الفعل -أو ما في معناه- معنى فعل آخر أو ما في معناه):

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (الفاتحة).

قال ابن القيم ﵀: «فِعْل الهداية متى عُدِّي بـ(إلى)، تَضَمَّن الإيصال إلى الغاية المطلوبة؛ فأتى بحرف الغاية، ومتى عُدِّي بـ(اللام)، تَضَمَّن التخصيص بالشيء المطلوب، فأتى بـ(اللام) الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هَديتُه لكذا، فُهِمَ معنى: ذكرته له، وجعلته له، وهيأته، ونحو هذا، وإذا تعدى بنفسه، تَضَمَّن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التَّعَرُّف والبيان والإلهام؛ فالقائل إذا قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾، هو طالب من الله أن يُعَرِّفَهُ إياه، ويُبينه له، ويُلهمه إياه، ويُقدره عليه، فيجعل في قلبه عِلْمه وإرادته والقدرة عليه، فَجرد الفعل من الحرف، وأتى به مُجردًا مُعدى بنفسه؛ ليَتَضَمَّن هذه المراتب كلها، ولو عُدِّي بحرف، تَعَيَّن معناه وتَخَصَّص بحسب معنى الحرف، فتأمله؛ فإنه من دقائق اللغة وأسرارها»[2].

---

١) هو: إشراب اللفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه؛ لتصير الكلمة تُؤَدِّي مُؤَدَّى كلمتين. انظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١/ ٤٤٦). أو أن يُؤَدِّي فعل -أو ما في معناه- مُؤَدَّى فعل آخر -أو ما في معناه- فَيُعْطى حكمه في التعدية واللزوم. انظر النحو الوافي (٢/ ١٦٩-١٧٠). وهذا التعريف هو الذي ارتضاه المجمع اللغوي في القاهرة. وللتوسع: ينظر: النحو الوافي (٢/٥٦٤).

٢) بدائع الفوائد (٢/٢٠-٢١).

٢- قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (المائدة).

فقوله تعالى: ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ ﴾، نَظيرُ قوله: ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ ﴾.

قال ابن تيمية ﷺ: «فإذا قيل: فامسحوا برؤوسكم وبوجوهكم، ضُمِّنَ المسح معنى الإلصاق، فأفاد أنَّكم تُلصِقُون برؤوسكم وبوجوهكم شيئًا بهذا المسح.

وهذا يُفيد في آية التيمم: أنَّه لا بد أن يَلتصقَ الصَّعيد بالوجه واليد؛ ولهذا قال: ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ ﴾»[١].

٣- قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنبياء).

«لم يَقُل: يُسارِعُون إلى الخيرات؛ لأن عملهم الآن خير، وهم سَيُسَارِعون فيه؛ أي: سيزيدونه؛ إذن: إنْ سارعتَ إلى شيء كأنه لم يكن في بالك، ولكنك سَتُسْرِع إليه، ولكن سَارَعْتَ في الخير، فكأنك في الخير أولًا ثم تزيد في فعل الخير»[٢].

---

١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٧٧)، (٢١/ ١٢٤).

٢) تفسير الشعراوي (٩/٥١٦٣).

٤- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادِۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الحج).

قال ابن القيم ﷺ: «فتأمل كيف عَدَّى فِعْل الإرادة هاهنا بالباء، ولا يُقال: أردت بكذا إلا لما ضُمِّن معنى فِعْل «هَمَّ» فإنه يُقَال: هَممت بكذا، فتوعد مَن هَمَّ بأن يظلم فيه بأن يُذِيقه العذاب الأليم»[1].

٤- قال تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سبأ).

قال الزركشي ﷺ: «فاستُعمِلَت ﴿ لَعَلَىٰ ﴾ في جانب الحقِّ، و﴿ فِى ﴾ في جانب الباطل؛ لأنَّ صاحبَ الحقِّ كأنَّه مُستَعْلٍ يَرقُبُ نَظَرُه كيف شاء، ظاهرَةٌ له الأشياء، وصاحبُ الباطلِ كأنَّه مُنغمِسٌ في ظلامٍ ولا يَدري أين تَوجَّه!»[2].

٥- قال تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ (الإنسان).

قال ابن تيمية ﷺ: «فإنَّه لو قيل: يَشرب منها لم تَدل على الرِّي، فَضُمِّنَ (يشرب) معنى (يَروى)، فقيل: ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾، فأفاد ذلك أنَّه شُربٌ يَحصلُ معهُ الرِّيُّ»[3].

---

١) زاد المعاد (١/ ٥١- ٥٢).

٢) البرهان (٤/١٧٥).

٣) مجموع الفتاوى (٢١/ ١٢٣).

١٠- التقدير والحذف والزيادة، والتكرار، والتقديم والتأخير، والترتيب بين الأمور المذكورة في الآية:

(التقدير والحذف والزيادة)[1]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (البقرة).

قال الشنقيطي ﷺ: «الآية ونحوها من جميع آيات اتخاذهم العِجْل إلهًا فإن المفعول الثاني محذوف في جميعها، وتقديره: اتخذتم العِجْل إلهًا، ونكتة حذفه دائمًا: التنبيه على أنه لاينبغي أن يُتلفظ بأن عِجْلًا مُصْطَنعًا إله، وقد أشار إلى هذا المفعول في طه بقوله: ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (طه)»[2].

---

١) التقدير: المُشار إليه في هذا المبحث: هو ما ينويه المتكلم من الألفاظ في كلامه مما لم يُصَرَّح به.

والحذف: يطلق في اصطلاح العلوم العربية على إسقاط خاص... والأنسب باصطلاح النحاة وأهل المعاني والبيان: أنه إسقاط حركة، أو كلمة، أو أكثر، أو أقل، وقد يَصير به الكلام المساوي مُوجَزًا. كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٦٣١ - ٦٣٢).

وقد عَرَّفه بعضهم بقوله: «هو إسقاط جُزْء الكلام، أو كله لدليل». البرهان للزركشي (١٠٢/٣).

والزيادة: تطلق على الكلمة التي وجودها وعدمها لا يخل بالمعنى الأصلي، وإن كان لها فائدة أخرى؛ ومنه ما يسمى بـ(حروف الزيادة). انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٩٠٢).

٢) انظر: العذب النمير (١/ ٩١- ٩٢)، وانظر أيضًا: (٤/ ١٦٦- ١٦٧).

٢- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ (النساء).

قال ابن القيم ﷺ: «فتأمل كيف اقتضت إعادة هذا المعنى قولَه تعالى: ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ولم يقل: (وإلى الرسول)؟ فإن الرد إلى القرآن رد إلى الله والرسول، فما حَكَم به الله تعالى هو بعينه حُكْم رسوله ﷺ، وما يحكم به الرسول ﷺ هو بعينه حُكْم الله، فإذا رددتم إلى الله ما تنازعتم فيه يعني كتابه فقد رددتموه إلى رسوله، وكذلك إذا رددتموه إلى رسوله، فقد رددتموه إلى الله؛ وهذا من أسرار القرآن»(1).

٣- قال تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ (التوبة:١١٢).

قال ابن القيم ﷺ: في بيان وَجْه مَجيء الواو بعد استيفاء الأوصاف السبعة المذكورة في الآية:

«**وأحسن ما يُقَال فيها**: إن الصفات إذا ذُكِرت في مقام التعداد، فتارة يَتوسَّط بينها حرف العطف؛ لِتَغَايُرها في نفسها، وللإيذان بأن المُراد ذِكْر كل صفة بِمُفْرَدها، وتارة لا يتوسطها العَاطِف؛ لاتحاد موصوفها وتَلَازُمها في نفسها، وللإيذان بأنها في تَلازُمِها كالصفة الواحدة، وتارة يتوسط العاطف بين بعضها ويُحذف مع بعض بحسب هذين المقامين، فإذا كان المقام مقام تعداد الصفات من غير نظر إلى جمع أو انفراد، حَسُن إسقاط حرف العطف، وإن أُرِيد الجمع بين الصفات أوالتنبيه على تَغَايُرها، حَسُن إدخال حرف العطف.

١) الرسالة التبوكية (ص٤١).

فمثال الأول: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ (التوبة:١١٢)، وقوله: ﴿مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ (التحريم:٥).

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ (الحديد:٣).

وتأمل كيف اجتمع النوعان في قوله تعالى: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ (غافر)، فأتى بالواو في الوصفين الأولين، وحذفها في الوصفين الآخرين؛ لأن غفران الذنب وقبول التوب قد يُظَن أنهما يجريان مجرى الوصف الواحد لتلازمهما، فمن غفر الذنب قَبِلَ التوب، فكان في عطف أحدهما على الآخر ما يدل على أنهما صفتان وفعلان مُتغايران، ومفهومان مختلفان لكل منهما حُكْمُه، أحدهما: يتعلق بالإساءة والإعراض؛ وهو المغفرة، والثاني: يتعلق بالإحسان والإقبال على الله تعالى والرجوع إليه، وهو التوبة، فتُقبل هذه الحسنة، وتُغفر تلك السيئة، وحَسَّن العطف ههنا هذا التغاير الظاهر.

وكلما كان التغاير أبين كان العطف أحسن؛ ولهذا جاء العطف في قوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ (الحديد: ٣)، وتُرك في قوله: ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ (الحشر: ٢٣)، وقوله: ﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ (الحشر: ٢٤).

وأما: ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ (غافر: ٣)، فتُرِك العطف بينهما لِنُكتة بديعة: وهي الدلالة على اجتماع هذين الأمرين في ذاته سبحانه، وأنه حال كونه شديد العقاب فهو ذو الطَّول، وطَولُه لا ينافي شدة عقابه، بل هما مجتمعان له،

بخلاف الأول والآخِر، فإن الأولية لا تُجامِع الآخِرية؛ ولهذا فَسَّرها النبي ﷺ بقوله: **«أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء»**[1]. فأَوَّليته أزليته، وآخريته أبديته.

فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ فإن ظُهوره تعالى ثابت مع بُطُونه، فيجتمع في حقه الظُّهور والبُطُون، والنبي ﷺ فَسَّر الظاهر: بأنه الذي ليس فوقه شيء، والباطن: بأنه الذي ليس دونه شيء، وهذا العلو والفوقية مُجامِع لهذا القرب والدنو والإحاطة؟

قلت: هذا سؤال حسن، والذي حَسَّن دخول الواو ههنا: أن هذه الصفات مُتقابلة مُتضادة، وقد عُطِف الثاني منها على الأول؛ للمقابلة التي بينهما، والصفتان الأُخريان كالأُوليين في المُقابلة، ونِسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة الآخِر إلى الأول، فكما حَسُن العطف بين الأُوليين، حَسُن بين الأُخريين.

فإذا عُرِف هذا فالآية التي نحن فيها يتضح بما ذكرناه معنى العطف وتركه فيها؛ لأن كل صفة لم تُعطف على ما قبلها فيها، كان فيه تنبيه على أنها في اجتماعها كالوصف الواحد لموصوف واحد فلم يحتج إلى عطف، فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- وهما مُتلازِمان مُسْتَمَدَّان من مادة واحدة - حَسُن العطف؛ ليتبين أن كل وصف منهما قائم على حِدَتِه، مطلوب تعيينه، لا يكتفي فيه بحصول الوصف الآخر، بل لا بد أن يظهر أمره بالمعروف بصريحه، ونهيه عن المنكر بصريحه. وأيضا فَحَسَّن العطف ههنا ما تقدم من التضاد، فلما كان الأمر بالمعروف والنهي

---

١) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

عن المنكر ضدين -أحدهما طَلَب الإيجاد، والآخر طَلَب الإعدام- كانا كالنوعين المُتغايرين المُتضادين، فَحَسُن لذلك العطف»[1].

٤- قال تعالى: ﴿ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ (طه).

قال ابن هُبيرة ﵀: «قرأ عَلَيَّ قارئ: ﴿ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴿٨٤﴾ ﴾ (طه)، ففكرت في معنى إسقاط (ها)[2] فنظرت فإذا وَضْعها للتنبيه، والله لا يجوز أن يُخاطَب بهذا، ولم أر أحدًا خاطب الله ﷻ بحرف التنبيه إلا الكفار، كما قال ﷻ: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ ﴾ (النحل:٨٦)، ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا ﴾ (الأعراف:٣٨)، وما رأيت أحدًا من الأنبياء خاطب ربه بحرف التنبيه، والله أعلم.

فأما قوله: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الزخرف)، فإنه قد تقدم الخطاب بقوله: ﴿ يَٰرَبِّ ﴾، فبقيت (ها) للتمكين»[3].

قال: «ولما خاطب الله ﷻ المنافقين قال: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (النساء:١٠٩)، وكرم المؤمنين بإسقاط (ها)، فقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ ﴾ (آل عمران: ١١٩)، وكان التنبيه للمؤمنين أخف»[4].

---

١) بدائع الفوائد (٣/٥٢-٥٤).

٢) في الأصل: «فأفكرت في معنى اشتقاقها»، والمثبت أعلاه من ترجمة ابن هبيرة في مقدمة الإفصاح. وهو أوضح في المعنى.

٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٤٤).

٤) السابق.

(التكرار) [1]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٤، ١٤١).

قال السعدي ﵀: «كَرَّرَها -أي الآية-؛ لِقَطْع التَّعَلُّق بالمخلوقين، وأن المُعوَّل عليه ما اتصف به الإنسان، لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال، لا بالانتساب المُجَرَّد للرجال» [2].

٢- قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) ﴾ (النحل).

قال ابن القيم ﵀: «فقد تَكَرَّر هذا المعنى في هذه السُّورة دون غيرها في أَربعة مواضع لِسرٍّ بديع؛ فإنَّها سُورة النِّعم الَّتي عدَّد الله سُبحانه فيها أصول النِّعم وفروعها، فعَرَّف عِباده أنَّ لهم عنده في الآخرة من النِّعم أضعاف هذه بما لا يُدرك تفاوته، وأنَّ هذه منْ بَعض نِعمِه العاجلة عليهم، وَأَنَّهم إنْ أطاعوه زادهم إلى هذه النِّعم نِعمًا أخرى، ثمَّ في الآخرة يُوفِّيهم أجور أعمالهم تمام التَّوفِيَة» [3].

---

١) التكرار: إعادة اللفظ أو مُرادِفه لتقرير معنى. البرهان للزركشي (١٠/٣).

وقيل: هو ذِكْر الشيء مرتين فصاعدًا. انظر: الإكسير (ص٢٤٥).

وقيل: دلالة اللفظ على المعنى مُرَدَّدًا. انظر: التقرير في التكرير (ص٣-٤).

٢) تفسير السعدي (ص٧٠).

٣) إعلام الموقعين (١٢٦/٢).

(التقديم والتأخير، والترتيب)[1]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة).

قال ابن القيم ﷺ: «وتقديم «العبادة» على «الاستعانة» في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل؛ إذ «العبادة» غاية العباد التي خُلِقُوا لها، و«الاستعانة» وسيلة إليها؛ ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، مُتَعَلِّق بألوهيته واسمه «الله»، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، مُتَعَلِّق بربوبيَّته واسمه «الرب»، فَقَدَّم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ كما قَدم اسم «الله» على «الرب» في أول السورة؛ ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قسْمُ «الرب»، فكان من الشَّطْر الأول، الذي هو ثناء على الله تعالى؛ لكونه أولى به، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قسْمُ العبد، فكان من الشَّطْر الذي له، وهو ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ إلى آخر السورة»[2].

٢- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢ ﴾ (البقرة).

قال السعدي ﷺ: «لعل من فوائد تأخير ذلك القتيل عن ذِكْر الأمر بذبح البقرة في قصة موسى مع بني إسرائيل؛ لأن السياق سياق ذم لبني إسرائيل، وتعداد

---

١) التقديم والتأخير: هو جعل اللفظ في رُتْبَة قبل رُتْبَتِه الأصلية، أو بعدها لعارض اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة؛ وعكسه الترتيب. انظر: الإكسير (ص١٤٥).

ونعني به هنا ما هو أوسع من ذلك، فلا نقصره على ما قُدِّم أو أُخِّر عن رُتْبَتِه، بل نذكر أيضًا توجيه ما ذُكِر قبل غيره، أو بعده، وكذلك توجيه ترتيب المذكورات على وفق ما جاء في الآية.

٢) مدارج السالكين (٩٧/١).

ما جرى لهم مما يُقرِّر ذلك، فلو قدم ذكر القتيل على الأمر بذبح البقرة، لصارت قصة واحدة»[1].

٣ - قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (البقرة).

قال ابن القيم ﷺ: «فإنه ذكر أخص هذه الثلاثة وهو الطواف الذي لا يُشرع إلا بالبيت خاصة، ثم انتقل منه إلى الاعتكاف وهو القيام المذكور في الحج[2]، وهو أعم من الطواف؛ لأنه يكون في كل مسجد ويختص بالمساجد لا يتعداها، ثم ذكر الصلاة التي تعم سائر بقاع الأرض سوى ما مَنَع منه مانع أو اسْتُثْني شرعًا»[3].

٤- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (البقرة).

«قيل في سبب تقديم الغفور على الرحيم: أن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة»[4].

---

١) المواهب الربانية (ص ٢١).

٢) يعني: قوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الحج).

٣) بدائع الفوائد (٨١/١).

٤) التعبير القرآني (ص ٣٣).

٥- قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (البقرة).

قال الراغب: «إن قيل: كيف قَدَّم هاهنا ذِكْر الآخرة وأَخَّره في قوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ (النساء: ١٣٦)؟

قيل: يجوز أن يكون ذاك مع الواو لا يقتضي الترتيب من أجل أن الكافر لا يعرف الآخرة، ولا يُعْنَى بها، وهو[1] أبعد الأشياء عن الحقائق عنده؛ أَخَّر ذِكْره في قوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ ﴾.

ولما ذكر حال المؤمنين، والمؤمن أقرب الأشياء إليه أمر الآخرة، وكل ما يفعله ويتحراه يَقْصِد به وجه الله ثم أمر الآخرة؛ قَدَّم ذِكْرها؛ تنبيهًا أن مُراعاة الله ﷻ، ومُراعاة الآخرة، ثم مُراعاة غيرهما.

إن قيل: كيف اختير الترتيب المذكور في قوله: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ (البقرة: ١٧٧)؟

قيل: لما كان أولى من يتفقده الإنسان بمعروفه أقاربه... كان تقديمها أولى، ثم أعقبه باليتامى، فالناس في المكاسب ثلاثة: مُعِيل وغير مَعُول، ومَعُول مُعِيل، ومَعُول غير مُعِيل، واليتيم مَعُول غير مُعِيل، فمواساته بعد الأقارب أولى، ثم ذَكَر المساكين؛ وهم الذين لا مال لهم حاضرًا ولا غائبًا، ثم ذكر ابن السبيل الذي قد

---

١) أي: اليوم الآخر.

يكون له مال غائب، ثم ذكر السائلين الذين منهم صادق وكاذب، ثم ذكر الرقاب الذين لهم أرباب يعولونهم، فكل واحد ممن أُخِّر ذِكْره أقل فقرًا ممن قُدِّم عليه» اهـ[1].

٥- قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (النساء).

قال السعدي رحمه الله: «وقَدَّم الوصية مع أنها مُؤَخَّرة عن الدَّيْن للاهتمام بشأنها؛ لكون إخراجها شاقًّا على الورثة، وإلا فالديون مُقَدَّمة عليها، وتكون من رأس المال»[2].

٦- قال تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ (يونس).

قال البيضاوي رحمه الله[3]: «في تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي له أن يتوكل أولًا؛ لتُجاب دعوته»[4].

---

١) تفسير الراغب (ص٣٧٩).

٢) تفسير السعدي (ص ٦٦).

٣) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، قاضٍ، مفسر، علامة، وُلِد في المدينة البيضاء (بفارس - قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة، ثم صُرِف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة: ٦٨٥هـ انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ١٥٧)، الأعلام للزركلي (٤/ ١١٠، ١١١)

٤) تفسير البيضاوي (٣/١٢٢).

٧- قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (النحل).

قال ابن عاشور ﷺ: «وقدَّم الأَمنَ على الطمأْنينة؛ إذ لا تَحصل الطمأْنينة بدونه، كما أن الخوف يُسبّب الانزِعاج والقلق»[1].

٨- قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الكهف).

قال ابن عاشور ﷺ: «تقديم المال على البنين في الذِّكْر؛ لأنه أسبق خُطُورًا لأذهان الناس؛ لأنه يرغَب فيه الصغير والكبير، والشاب والشيخ، ومن له من الأولاد ما قد كفاه»[2].

٩- قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الكهف).

قال عون بن عبد الله ﷺ[3]: ضج -والله- القوم من الصغار قبل الكبار[4].

---

١) التحرير والتنوير (٣٠٥/١٤).

٢) السابق (٣٣٣/١٥).

٣) هو: عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، خطيب، راوية، ناسب، شاعر، كان من آدب أهل المدينة، وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة، وكان يقول بالإرجاء، ثم رجع، وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب، وصحب عمر بن عبد العزيز في خلافته، توفي سنة: ١١٥هـ انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٣-١٠٥)، الأعلام للزركلي (٥/ ٩٨)

٤) التمهيد (٨٤/٢).

١٠- قال تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الكهف).

قال ابن عثيمين ﵀: «تأمل في حال المشرك بدأ بتعذيبه ثم ثَنَّى بتعذيب الله، والمؤمن بدأ بثواب الله أولًا ثم بالمعاملة باليُسْر ثانيًا، والفرق ظاهر؛ لأن مقصود المؤمن الوصول إلى الجنة، والوصول إلى الجنة لا شك أنه أفضل وأحب إليه من أن يُقال له قول يُسر، وأما الكافر فعذاب الدنيا سابق على عذاب الآخرة وأيسر منه، فبدأ به، وأيضًا فالكافر يخاف من عذاب الدنيا أكثر من عذاب الآخرة؛ لأنه لا يؤمن بالثاني»[١].

١١- قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الحج).

قال ابن القيم ﵀: «أما تقديم الرجال[٢] على الرُّكْبَان ففيه فائدة جليلة: وهي أن الله تعالى شرط في الحج الاستطاعة، ولا بد من السفر إليه لغالب الناس، فذكر نوعي الحجاج؛ لقطع تَوَهّم من يظن أنه لا يجب إلا على راكب، وقَدَّم الرجال اهتمامًا بهذا المعنى وتأكيدًا، ومن الناس من يقول: قَدَّمَهم جَبرًا لهم؛ لأن نفوس الرُّكْبَان تزدريهم»[٣].

١٢- قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (يس). وفي الآية الأخرى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القصص).

---

١) تفسير سورة الكهف لابن عثيمين (ص ١٢٩).

٢) والمقصود بـ(الرجال): جمع رَاجِل، وهم المُشَاة.

٣) بدائع الفوائد (٦٩/١).

قال ابن هبيرة ﷺ: «فرأيتُ الفائدة في تقديم ذِكْر الرجل وتأخيره: أن ذِكْر الأوصاف قبل ذِكْر الموصوف أبلغ في المدح من تقديم ذِكْرِه على وصفه، فإن الناس يقولون: الرئيس الأَجَل فلان، فنظرت فإذا الذي زِيد في مدحه هو صاحب (يسٓ) أمر بالمعروف، وأعان الرسل، وصبر على القتل، والآخر إنما حذر موسى من القتل، فَسَلِم موسى بقبوله مشورته، فالأول هو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والثاني هو ناصح الآمر بالمعروف، فاستحق الأول الزيادة.

ثم تأملت ذِكْر أقصى المدينة فإذا الرجلان جاءا من بُعْد في الأمر بالمعروف، ولم يتقاعدا لبُعْد الطريق»[1].

١٣- قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الشورى).

قال ابن القيم ﷺ: «بدأ بذِكْر الإناث، فَقَدَّم ما كانت تُؤَخِّره الجاهلية من أمر البنات؛ حتى كانوا يَئِدُوهُن؛ أي: هذا النوع المُؤَخَّر عندكم، مُقَدَّم عندي في الذِّكر، وتأمل كيف نَكَّر سبحانه الإناث، وعَرَّف الذكور؛ فَجَبَر نَقْص الأنوثة بالتقديم، وجَبَر نَقْصَ التأخير بالتعريف؛ فإن التعريف تنويه»[2].

١٤- قال تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الواقعة).

«قَدَّم كونها تذكرة على كونها متاعًا؛ ليعلم العبد أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم»[3].

---

١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨-١٤٩).

٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص ٢٠- ٢١).

٣) مفاتيح الغيب (٢٩/٤٢٣).

١٥- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ (عبس).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «لِمَ ابتَدأَ بالأَخ، ومن عادة العرب أَن يُبدأَ بِالأَهم؟

فلما سُئِلْتُ عن هذا قلت: إن الابتداء يكون في كل مقام بما يناسبه، فتارة يقتضي الابتداء بالأعلى، وتارة بالأدنى. وهنا المناسبة تقتضي الابتداء بالأدنى؛ لأن المقصود بيان فراره عن أقاربه مُفَصَّلًا شيئًا بعد شيء، فلو ذَكَر الأقرب أولًا لم يكن في ذِكْر الأبعد فائدةٌ طائلة، فإنه يعلم أنه إذا فَرَّ من الأقرب فَرَّ من الأبعد»[١].

١١- الإيجاز والبسط والاستطراد[٢]:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾ (الأعراف).

قال ابن القيم ﷺ عن هذه الآية: «جمعت أصول أحكام الشريعة كلها، فجمع الأمر والنهي والإباحة والخبر»[٣].

---

١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٧٤).

٢) الإيجاز: هو في علم المعاني: تقليل اللفظ، وتكثير المعنى، بشرط أن يكون اللفظ على قلته وافيًا بالغرض.
الإطناب: هو في علم المعاني: التعبير عن المعاني القليلة بالكثير من الألفاظ.
الاستطراد: قوامه الانتقال من معنى إلى معنى آخر لمناسبة بينهما على قصد العودة إلى الأول.
انظر: جواهر البلاغة (ص١٩٧، ٢٠١، ٢٠٧).

٣) بدائع الفوائد (٤/ ٧).

٢- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ (النجم).

قال ابن القيم رحمه الله: «ولما ذَكَر رؤيته لجبريل عند سِدْرَة المُنْتَهَى، استطرد منها، وذكر أن جنة المأوى عندها، وأنه يغشاها من أَمْرِه وخَلْقِه ما يغشى، وهذا من أحسن الاستطراد، وهو أسلوبٌ لطيفٌ جدًّا في القرآن؛ وهو نوعان:

أحدهما: أن يَسْتَطْرِد من الشيء إلى لَازِمه، مثل هذا، ومثل قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (الزخرف)، ثم استطرد من جوابهم إلى قوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ (الزخرف)، وهذا ليس من جوابهم، ولكن تقرير له وإقامة الحجة عليهم.

ومثله قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ (طه)، فهذا جواب موسى، ثم استطرد سبحانه منه إلى قوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ (طه)، ثم عاد إلى الكلام الذي استطرد منه.

والنوع الثاني: أن يَسْتَطْرِد من الشخص إلى النوع؛ كقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ (المؤمنون)، إلى آخره؛ فالأول: آدم، والثاني: بَنُوه.

ومثله قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ ... (الأعراف) إلى آخر الآيات. فاستطرد من ذِكْر الأبوين إلى ذِكْر المشركين من أولادهما. والله أعلم»[1].

١٢- الأمثال والتشبيهات:

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (البقرة:٧٤).

قال السعدي رحمه الله: «وصف قسوتها بأنها ﴿ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ التي هي أشد قسوة من الحديد؛ لأن الحديد والرصاص إذا أُذيب في النار ذاب، بخلاف الأحجار»[2].

٢- قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (النور).

---

١) التبيان في أقسام القرآن (١/٢٦٢- ٢٦٤).

٢) تفسير السعدي (ص ٥٥).

قال البغوي ﵀: «شَبَّهَه بالكواكب، ولم يُشَبِّهه بالشمس والقمر؛ لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف، والكواكب لا يلحقها الخسوف»[1].

٣- قال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ (الإنسان).

قال الثعالبي[2]: «قال بعضهم: هذا من التشبيه العجيب؛ لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقًا، كان أحسن في المنظر؛ لوقوع شعاع بعضه على بعض»[3].

---

١) تفسير البغوي (٣/٤١٦).

٢) هو: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد، مفسر، من أعيان الجزائر، زار تونس والمشرق، توفي سنة: ٨٧٥هـ انظر: الضوء اللامع (٤/ ١٥٢)، والأعلام للزركلي (٣/ ٣٣١).

٣) تفسير الثعالبي (٥/٥٣٢).

الباب الخامس

ما لا يدخل في شيء مما سبق

ما لا يدخل في شيء مما سبق؛ وهو نوعان:

الأول: صور من التدبُّر لا تدخل تحت أحد الأنواع المذكورة:

التطبيق:

١- قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (البقرة).

قال ابن عاشور ﷺ: «قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ مع أن مقتضى الظاهر أن يكون كلامهم بعكس ذلك؛ لأن المؤمنين يَشُكُّون في إيمان المنافقين، وقومهم لا يَشُكُّون في بقائهم على دينهم، فجاءت حكاية كلامهم الموافقة لمدلولاته على خلاف مقتضى الظاهر لمراعاة ما هو أجدر بعناية البليغ من مُقْتَضَى الظاهر. فَخُلُوّ خطابهم مع المؤمنين عما يفيد تأكيد الخبر؛ لأنهم لا يريدون أن يَعْرِضُوا أنفسهم في مَعْرِض من يَتَطَرَّق ساحته الشك في صِدْقِه؛ لأنهم إذا فَعَلُوا ذلك فقد أيقظوهم إلى الشك، وذلك من إتقان نفاقهم؛ على أنه قد يكون المؤمنون أَخْلِيَاء الذِّهْن من الشك في المنافقين لعدم تَعَيُّنِهم عندهم، فيكون تجريد الخبر من المُؤَكِّدات مُقْتَضَى الظاهر.

وأما قولُهُم لقومِهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ بالتأكيد فذلك؛ لأنه لمّا بدا من إبداعهم في النفاق عند لقاء المسلمين ما يُوجِب شك كبرائهم في البقاء على الكفر، وتَطْرُق به التُّهْمة أبواب قلوبهم، احتاجوا إلى تأكيد ما يدل على أنهم باقون علَى دينهم»[1].

٢- قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (البقرة).

---

١) التحرير والتنوير (١/٢٩١-٢٩٢).

قال ابن القيم ﷫: «تأمل قوله تعالى: ﴿ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ كيف جعل ضوءها خارجًا عنه مُنفصلًا، ولو اتصل ضَوْءها به ولابسَه لم يذهب، ولكنه كان ضَوء مُجاورة، لا مُلابَسة ومُخالَطة، وكان الضَوء عارضًا والظُّلمة أصلية، فرجع الضوء إلى معدنه وبقيت الظلمة في معدنها، فرجع كل منهما إلى أصله اللائق به»[1].

٣- قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ (البقرة).

قال ابن القيم ﷫: «فالمَلَك والشيطان يتعاقبان على القلب تَعَاقُب الليل والنهار؛ فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره، وآخر بضده، ومنهم من يكون زمنه نهارًا كله، وآخر بضده، نستعيذ بالله تعالى من شر الشيطان»[2].

٤- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (آل عمران).

قال ابن القيم ﷫: «فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله، ولا يُتِم أمره، ولا يُؤيده ويُؤيد حزبه، ويُعليهم ويُظفِرهم بأعدائه، ويُظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدَالَة مُسْتَقِرَّة يَضْمَحِل معها التوحيد

١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٦٤).

٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٠٨).

والحق اضْمِحْلَالًا لا يقوم بعده أبدًا؛ فقد ظن بالله ظن السوء، ونَسَبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله، وصفاته ونعوته، فإن حَمْدَه وعِزَّته وحِكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النُّصْرَة المُستقرة والظَّفَر الدائم لأعدائه المشركين به، العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه، ولا عرف أسماءه، ولا عرف صفاته وكماله، وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقَدَرِه فما عرفه، ولا عرف ربوبيته ومُلْكَه وعظمته، وكذلك من أنكر أن يكون قَدَّر ما قَدَّرَه من ذلك وغيره لحِكْمَة بالغة، وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مُجَرَّدَة عن حِكْمة، وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فَوْتِها، وأن تلك الأسباب المكروهة المُفْضِية إليها لا يخرج تقديرها عن الحِكْمة؛ لإفضائها إلى ما يحب، وإن كانت مكروهة له، فما قَدَّرَها سُدًى، ولا أنشأها عبثًا، ولا خلقها باطلًا؛ ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ (ص)، وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظَنَّ السَّوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله، وعرف أسماءه وصفاته، وعرف مُوجِبَ حَمْدِه وحكمته، فمن قَنَطَ من رحمته، وأَيِسَ من رَوْحه، فقد ظن به ظن السوء»[1].

٥- قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ (آل عمران).

قال السعدي ﵀: «وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته والعمل المُوصِل إليه، فلا يُوصَل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يُدرَك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مَكَارِه الدنيا التي تُصيب العبد في سبيل الله عند تَوطِين النفس لها، وتَمْرِينها

---

١) زاد المعاد (٣/ ٢٢٩-٢٣٠).

عليها ومعرفة ما تَؤول إليه تَنْقَلِب عند أرباب البصائر مِنَحًا يُسَرُّون بها، ولا يُبالون بها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[1].

٦- هل سمعت بطفل يتدبر القرآن؟ قال أحدهم: كنت مع ابنتي (٧ سنوات)، فَسَمِعَت قارئًا عَبْر الإذاعة يتلو: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴿١٨١﴾﴾ (آل عمران)، فسَأَلَتْ ببراءة: إذا كان الله فقيرًا وهم أغنياء، فمن الذي أغناهم؟!»[2].

٧- قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ (النساء).

قال السعدي ﷺ: «ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يُوعَظُون به؛ أي: ما وُظِّف عليهم في كل وقت بحسبه، فبذلوا هِمَمَهم، ووَفَّروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم تَطْمَح نفوسهم لِمَا لم يَصِلوا إليه، ولم يكونوا بصَدَدِه، وهذا هو الذي ينبغي للعبد؛ أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا، حتى يصل إلى ما قُدِّر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طَمَحَت نفسه إلى أمر لم يَصِل إليه، ولم يُؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهِمَّة، وحصول الكسل وعدم النشاط»[3].

٨- قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ (النساء).

---

١) تفسير السعدي (ص ١٥٠).

٢) ليدبروا آياته (٢/ ٤٧-٤٨).

٣) تفسير السعدي (ص ١٨٥).

قال ابن القيم ﷺ: «فمن تَعَبَّد الله بِمُرَاغَمَة عدوه، فقد أخذ من الصِّدِّيقية بسهم وافر، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه، يكون نصيبه من هذه المُراغَمة.

ولأجل هذه المُراغَمة حُمِدَ التَّبَخْتُر بين الصَّفَّيْن، والخيلاء والتَّبَخْتُر عند صَدَقَة السر، حيث لا يراه إلا الله؛ لما في ذلك من إرغام العدو، وبَذْل محبوبه من نفسه وماله لله ﷻ، وهذا باب من العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس، ومن ذاق طعمه ولَذَّته، بكى على أيامه الأُوَلِ...

وصاحب هذا المقام إذا نظر إلى الشيطان، ولَاحَظَه في الذنب، رَاغَمَه بالتوبة النصوح، فأحدثت له هذه المُراغَمة عبودية أخرى»[1].

٩- قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (النساء).

قال السعدي ﷺ: «وفي هذه الآية إرشاد إلى المقابلة بين ما يُتوَهَّم من مصالح الدنيا المُتَرَتِّبة على ترك أوامر الله، أو فعل مناهيه، وبين ما يفوت من ثواب الآخرة، أو يحصل من عقوباتها.

فيقول من أَمَرَتْه نفسُه بترك أمر الله: ها أنتِ تركتِ أمره كسلًا وتفريطًا، فما النفع الذي انتفعتِ به؟! وماذا فاتكِ من ثواب الآخرة؟! وماذا ترتب على هذا الترك من الشقاء والحرمان والخيبة والخسران؟!

---

١) مدارج السالكين (١/ ٢٤١-٢٤٢).

وكذلك إذا دعتُه نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات المُحَرَّمة، وقال لها: هَبْكِ فعلتِ ما اشتهيتِ، فإن لذته تنقضي، ويعقبها من الهموم والغموم والحسرات، وفوات الثواب وحصول العقاب ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها.

وهذا من أعظم ما ينفع العبد تَدَبُّره، وهو خَاصَّة العقل الحقيقي؛ بخلاف الذي يَدَّعي العقل وليس كذلك، فإنه بجهله وظُلْمه يُؤْثِر اللذة الحاضرة والراحة الراهنة، ولو ترتب عليها ما ترتب. والله المستعان»[1].

١٠- قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنعام).

قال ابن القيم ﷺ: «منهم من يكون على أخلاق السِّبَاع العادية، ومنهم من يكون على أخلاق الكلاب، وأخلاق الخنازير، وأخلاق الحمير، ومنهم من يَتَطَوَّس بثيابه، كما يَتَطَوَّس الطاوس في ريشه، ومنهم من يكون بليدًا كالحمار، ومنهم من يُؤْثِر على نفسه كالديك، ومنهم من يألف ويُؤْلَف كالحمام، ومنهم الحقود كالجمل، ومنهم الذي هو خير كله كالغنم، ومنهم أشباه الثعالب تروغ كروغانها.

وقد شَبَّه الله تعالى أهل الجحيم والغَي: بالحُمر تارة، وبالكلب تارة، وبالأنعام تارة، وتقوى هذه المشابهة باطنًا، حتى تظهر في الصورة الظاهرة ظهورًا خفيًّا، يراه المُتفَرِّسُون، وتظهر في الأعمال ظهورًا يراه كل أحد»[2].

---

١) تفسير السعدي (ص ٢٠٠).

٢) الجواب الكافي (ص ١١٨-١١٩).

١١- قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام).

قال السعدي ﷺ: «ومن لُطْفِه أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويُوصِلها إليه بالطُّرُق التي لا يَشْعُر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السَّرْمَدي، من حيث لا يحتسب، حتى إنه يُقَدِّر عليه الأمور التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يُزِيلَها؛ لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله مُتَوَقِّف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين»[1].

١٢- قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأعراف).

قال ابن القيم ﷺ: «ومن تدبر أحوال العالم، وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ﷺ، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك، فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله ﷺ.

ومن تدبر هذا حق التدبر، وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين؛ وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي حق غيره عمومًا وخصوصًا، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[2].

---

١) تفسير السعدي (ص ٢٦٨).

٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٥).

١٤- قال تعالى: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ ﴾ (الأعراف).

قال ابن القيم ﷺ: «وذكر الطمع - الذي هو الرجاء- في آية الدعاء؛ لأن الدعاء مبني عليه، فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه؛ إذ طلب ما لا طمع فيه ممتنع»[١].

١٥- قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف).

قال السعدي ﷺ: «وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنًا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفًا وَجِلًا أن يُبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وألا يزال داعيًا بقوله: «**يا مقلب القلوب ثَبِّت قلبي على دينك**»، وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يُخَلِّصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد -ولو بلغت به الحال ما بلغت- فليس على يقين من السلامة»[٢].

١٦- قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ قَالَ أَلۡقُواْۖ ﴾ (الأعراف: ١١٥-١١٦)، وقال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ ﴾ (طه: ٦٥-٦٦).

فما وجه طلب موسى ﷺ أن تكون البَدَاءَة منهم؟

قال ابن كثير ﷺ: «لأن موسى أراد أن تكون البَدَاءَة منهم؛ ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعده، فيدمغ باطلهم»[٣].

---

١) السابق (٣ / ١٢).

٢) تفسير السعدي (ص ٢٩٨).

٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٦).

١٧- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ ﴾ (الأعراف).

قال السعدي ﵀: «ينبغي لمن طَمَحَت نفسه لما لا قدرة له عليه، أو غير ممكن في حقه، وحَزِنَت لعدم حصوله أن يُسليها بما أنعم الله به عليه مما حصل له من الخير الإلهي الذي لم يحصل لغيره؛ ولهذا لما طَمَحَت نفس موسى ﵇ إلى رؤية الله تعالى وطلب ذلك من الله، فأعلمه الله أن ذلك غير حاصل له في الدنيا وغير ممكن، سَلَّاه بما آتاه فقال: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ ﴾ (الأعراف)، وكذلك نبه الله رسوله وعباده المؤمنين على هذا المعنى بقوله: ﴿ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ ﴾ (النساء)»[1].

١٨- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ ﴾ (الأنفال).

قال الشنقيطي ﵀: «والمُحِب الصادق في حُبّه لا ينسى محبوبه عند نزول الشدائد»[2].

---

١) المواهب الربانية (ص ٤٠).

٢) أضواء البيان (٢/ ٤٨٦).

١٩- قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (التوبة)، وقال: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية: غمًّا وحزنًا، وقسوة وظُلمة قلب وجهلًا، فإن للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم؛ ولهذا تجد غالب هؤلاء لا يُطيّبون عيشهم إلا بما يُزيل العقل، ويُلهي القلب ومن تناول مسكر، أو رؤية مُلْهٍ، أو سماع مُطْرب، ونحو ذلك.

وفي مُقابِل ما حكاه الله عن الكافرين، قوله في المؤمنين: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة)، فإن الله يُعَجِّل للمؤمنين من الرحمة في قلوبهم، وغيرها بما يجدونه من حلاوة الإيمان ويذوقونه من طعمه، وانشراح صدورهم للإسلام، إلى غير ذلك من السرور بالإيمان، والعلم، والعمل الصالح، بما لا يمكن وصفه»[١].

٢٠- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (التوبة).

قال السعدي ﷺ: «وفي هذه الآية أيضًا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف لفائدة مهمة، وهي أن المسلمين ينبغي لهم أن يُعِدُّوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها ويُوفر وقته عليها، ويجتهد فيها ولا يلتفت إلى غيرها؛ لتقوم مصالحهم

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/١١٠-١١١).

وتتم منافعهم؛ ولتكون وِجْهَة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قَصْدًا واحدًا وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تَفَرَّقت الطرق وتعددت المَشَارِب، فالأعمال مُتباينة والقصد واحد؛ وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور»[1].

٢١- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ (يونس).

قال ابن حزم ﷺ: «إذا حَقَّقْت مدة الدنيا لم تجدها إلا (الآن) الذي هو فَصْل الزمانين فقط»[2].

٢٢- قال تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (يوسف).

قال ابن القيم ﷺ: «وفي ذلك تنبيه على أن العلم الدقيق بلطيف الحيل المُوصلة إلى المقصود الشرعي الذي يُحبه الله تعالى ورسوله ﷺ... صفة مدح يرفع الله تعالى بها درجة العبد»[3].

٢٣- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النحل).

---

١) تفسير السعدي (ص ٣٥٥).

٢) الأخلاق والسير (ص ٢٠).

٣) إغاثة اللهفان (٢/ ١١٩).

قال السعدي رحمه الله: «فما فات أحدًا شيء من الخير إلا لعدم صبره وبَذْل جُهده فيما أُريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله»[1].

٢٤- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الإسراء).

قال ابن كثير رحمه الله: «وقد أخذ الإمام الحَبْر ابن عباس رضي الله عنهما من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السَّلْطَنة، وأنه سيملك؛ لأنه كان ولي عثْمان، وقد قُتِل عثْمان مظلومًا رضي الله عنه»[2].

٢٥- قال تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الكهف).

قال السعدي رحمه الله: «وفي هذه القصة دليل على أن من فَرَّ بدينه من الفتن سَلَّمه الله منها، وأن من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تَحمَّل الذُّل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب؛ ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران)»[3].

٢٦- قال تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الكهف).

---

١) تفسير السعدي (ص ٤٤٠).

٢) تفسير ابن كثير (٥/٧٣).

٣) تفسير السعدي (ص ٤٧٣).

قال ابن كثير ﷺ: «وشملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال؛ وهذا فائدة صُحْبَة الأخيار؛ فإنه صار لهذا الكلب ذِكْر وخبر وشأن»[1].

٢٧- قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الكهف).

قال قَتَادَة ﷺ: «يَشْتَكِي القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يَشْتَكِ أحد ظلمًا؛ فإياكم والمُحَقَّرَات من الذنوب؛ فإنها تجتمع على صاحبها حتى تُهلكه»[2].

٢٨- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (الكهف).

قال ابن القيم ﷺ: «ويُشْبِه أن يكون تحت هذا الخطاب نوع من العِتَاب لطيف عجيب، وهو أني عاديتُ إبليس؛ إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي، فكانت معاداته لأجلكم، ثم كان عاقبة هذه المعاداة أن عَقَدتُّم بينه وبينكم عَقْد المُصَالَحَة!»[3].

٢٩- قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (طه).

---

١) تفسير ابن كثير (١٤٤/٥).

٢) الدر المنثور (٤٠١/٩).

٣) الجواب الكافي (ص ٨٣).

في هذه الآيات أدب من آداب الدعاء، وهو نُبْل الغاية، وشَرَف المقصد، وقريب منه قوله ﷺ: **«اللَّهُمَّ اشْفِ عبدك فلانًا؛ يَنْكَأُ لك عدوًّا، ويمشي لك إلى صلاة»**[1][2].

٣٠- «ومن أعجب ما ظاهره الرجاء وهو شديد التخويف، قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢ ﴾ (طه)، فإنه عَلَّق المغفرة على أربعة شروط، يَبْعُد تصحيحها»[3].

٣١- قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠ ﴾ (الأنبياء).

قال السعدي رحمه الله: «وهذه الآية مِصْداقها ما وقع؛ فإن المؤمنين بالرسول الذين تَذَكَّروا بالقرآن، من الصحابة فمن بعدهم حصل لهم من الرِّفْعَة والعلو الباهر والصِّيت العظيم والشرف على الملوك ما هو أمر معلوم لكل أحد، كما أنه معلوم ما حصل لمن لم يرفع بهذا القرآن رأسًا، ولم يهتد به ويَتَزَكَّ به من المقت والضَّعَة والتَّدْسِية والشقاوة، فلا سبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة إلا بالتذكر بهذا الكتاب»[4].

٣٢- قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠ ﴾ (المؤمنون).

١) أخرجه أبو داود في سننه (٣١٠٧)، قال الألباني في الصحيحة: (حديث حسن).

٢) ليدبروا آياته (١/١٥٠).

٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٠٨).

٤) تفسير السعدي (ص ٥١٩).

«قال قتادة ﵀: «والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أُمنية الكافر المُفَرِّط فاعملوا بها»[1].

وقال ﵀: «طَلَبَ الرجوع ليعمل صالحًا، لا ليجمع الدنيا، ويقضي الشهوات، فرحم الله امرأً عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب»[2].

٣٣- قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (النمل).

قال الشنقيطي ﵀: «ألا ترى أن مَلِكَة سبأ في حال كونها تسجد للشمس من دون الله هي وقومها لَمَّا قالت كلامًا حقًّا صَدَّقها الله فيه، ولم يكن كفرها مانعًا من تصديقها في الحق الذي قالته، وذلك في قولها فيما ذكر الله عنها: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ (النمل:٣٤)، فقد قال تعالى مُصَدِّقًا لها في قولها: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (النمل)، وقد قال الشاعر:

لا تَحْقِرَنَّ الرأي وَهْوَ مُوَافِقٌ ... حُكمُ الصواب إذا أتى من ناقصِ

فالدُّر وَهْوَ أَعز شيء يُقْتَنى ... ما حط قيمته هَوَانُ الغائص»[3][4].

٣٤- قال تعالى: ﴿ الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (العنكبوت).

---

١) تفسير ابن كثير (٥/٤٩٤).

٢) تفسير السمعاني (٣ / ٤٩٠).

٣) وفيات الأعيان (٢/ ١٨٨).

٤) أضواء البيان (١/ ٨-٩).

قال ابن القيم ﵀: «فمن كان ظهيرًا للمجرمين من الظَّلَمة على ظُلمهم، ومن أهل الأهواء والبدع على أهوائهم وبدعهم، ومن أهل الفجور والشهوات على فجورهم وشهواتهم؛ ليتخلص بمُظَاهَرَتهم من أَلَم أذاهم، أصابه من ألم الموافقة لهم عاجلًا وآجلًا أضعاف أضعاف ما فرّ منه، وسنة الله في خلقه أن يعذبهم بإنذار من إيمانهم وظاهرهم، وإن صبر على أَلَم مُخالفتهم ومُجانَبتهم، أعقبه ذلك لَذَّة عاجلة وآجلة تزيد على لذة الموافقة بأضعاف مضاعفة، وسنة الله في خلقه أن يرفعه عليهم ويُذلهم به بحسب صبره وتقواه وتوكله وإخلاصه، وإذا كان لا[بد][1] من الألم والعذاب فذلك في الله وفي مرضاته ومتابعة رسله أولى وأنفع منه في الناس ورضائهم وتحصيل مُرَادَاتهم»[2].

٣٥- قال الشيخ بكر أبو زيد ﵀: «ومن نظر في آيات القرآن الكريم، وجد أن البيوت مُضَافَة إلى النساء في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى، مع أن البيوت للأزواج أو لأوليائهن؛ وإنما حصلت هذه الإضافة -والله أعلم- مراعاةً لاستمرار لزوم النساء للبيوت، فهي إضافة إسكان، ولزوم للمسكن، والتصاق به، لا إضافة تمليك.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وقال سبحانه: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ (الأحزاب:٣٤)، وقال عز شأنه: ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ (الطلاق: ١)»[3].

---

١) ما بين المعقوفين زيادة، يقتضيها السياق.

٢) شفاء العليل (ص ٢٤٦).

٣) حراسة الفضيلة (ص ٥٨).

٣٦- قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (فاطر).

قال ابن القيم ﷺ: «فمن لم يُورثه التعمير وطُول البقاء إصلاح معائبه، وتَدَارُك فَارِطه، واغتنام بقية أنفاسه، فيعمل على حياة قلبه، وحصول النعيم المقيم، وإلا فلا خير له في حياته... فالطالب الصادق في طلبه كلما خرب شيء من ذاته جعله عمارة لقلبه وروحه، وكلما نقص شيء من دنياه جعله زيادة في آخرته، وكلما مُنع شيئًا من لذات دنياه جعله زيادة في لذات آخرته، وكلما ناله هَمّ أو حزن أو غم جعله في أفراح آخرته.

فَنُقصان بدنه ودنياه ولذته وجاهه ورئاسته إن زاد في حصول ذلك وتوفيره عليه في معاده، كان رحمة به وخيرًا له، وإلا كان حرمانًا وعقوبة على ذنوب ظاهرة أو باطنة، أو ترك واجب ظاهر أو باطن؛ فإن حرمان خير الدنيا والآخرة مُرَتَّب على هذه الأربعة»[1].

٣٧- قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (يس).

قال قتادة: ﷺ: «لا تَلقَى المؤمن إلا ناصحًا، لا تلقاه غاشًّا؛ لَمّا عَاين ما عَاين من كرامة الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾، تمنى على الله أن يعلم قومه بما عَاين من كرامة الله له، وما هجم عليه»[2].

---

١) الفوائد (ص ١٨٩-١٩٠).

٢) تفسير ابن كثير (٦/٥٧١-٥٧٢).

٣٨- قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الزمر).

قال ابن القيم ﷺ: «وتأمل ما في سَوْق الفريقين إلى الدارين زُمَرًا من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسَيْرِهم معهم كل زُمْرة على حِدَة، كل مُشْتَرِكِين في عمل مُتَصَاحِبِين فيه على زُمْرَتهم وجماعتهم مُسْتَبْشِرين أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، كذلك يؤنس بعضهم بعضًا ويفرح بعضهم ببعض.

وكذلك أصحاب الدار الأُخرى يُساقون إليها زُمرًا يلعن بعضهم بعضًا ويتأذى بعضهم ببعض، وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهَتِيكَة من أن يُساقُوا واحدًا واحدًا؛ فلا تُهْمِل تدبر قوله سبحانه: ﴿ زُمَرًا ﴾»[١].

٣٩- قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الأحقاف).

قال ابن هبيرة ﷺ: «هذا من تمام بر الوالدين، كأن هذا الولد خاف أن يكون والداه قَصَّرا في شُكر الرب ﷻ، فسأل الله أن يُلْهِمَه الشُّكْر على ما أنعم به عليه وعليهما؛ ليقوم بما وجب عليهما من الشُّكْر إن كانا قَصَّرا»[٢].

---

١) حادي الأرواح (ص ٥٢).

٢) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٧/٢).

٤٠- قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح).

لما ذكر مُبتغَى العابدين بعبادتهم هنا قال: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾، وحين ذكر وعده لهم قال: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ (فاطر:٣٠). وفيه «إشارة إلى معنى لطيف؛ لأنَّ الله تعالى إذا قال: (لكم أجر) كان ذلك منه تَفَضُّلًا، وإشارة إلى أنَّ عملكم جاء على ما طلب الله منكم؛ لأنَّ الأُجرة لا تُسْتَحَقُّ إلا على العمل الموافق للطَّلب من المالك، والمؤمن إذا قال: أنا أبتغي فضلك يكون منه اعترافًا بالتَّقصير؛ فقال: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، ولم يقل: أجرًا»[1].

٤١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات).

قال شيخ الإسلام ﷺ: «ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدًا بنسبه، ولا يذم أحدًا بنسبه؛ وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان»[2].

٤٢- قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم).

قال ابن القيم ﷺ: «قوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم) مُتَضَمِّن لكنز عظيم، وهو أن كل مُراد إن لم يُرَد لأجل الله ويتصل به وإلا فهو

---

١) مفاتيح الغيب (٢٨ /٨٩).

٢) مجموع الفتاوى (٣٥/٢٣٠).

مُضمحِل مُنقطع؛ فإنه ليس إليه المُنْتَهى، وليس المُنْتَهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فانتهت إلى خلقه ومشيئته وحكمته وعلمه، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يُحبّ لأجله فمحبته عناء وعذاب»[1].

٤٣- قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ (الواقعة).

«وَصْفُ القرآن بأنه كريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ فيه ميزة؛ وهي: أن الكلام إذا قُرئ وتردد كثيرًا يهون في الأعين والآذان؛ ولهذا ترى من قال شيئًا في مجلس الملوك لا يذكره ثانيًا ولا يكرره، فقوله تعالى ﴿كَرِيمٞ﴾؛ أي: لا يهون بكثرة التلاوة، بل يبقى أبد الدهر كالكلام الغَض والحديث الطَّري»[2].

٤٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ۝٢٠﴾ (المزمل).

قال السعدي رحمه الله: «الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وليُعلم أن مثقال ذرة من الخير في هذه الدار، يقابله أضعاف أضعاف الدنيا وما عليها في دار النعيم المقيم من اللذات والشهوات، وأن الخير والبِر في هذه الدنيا

---

١) الفوائد (ص ٢٠٢).

٢) مفاتيح الغيب (١٦٦/٢٩).

مادة الخير والبر في دار القرار، وبذره وأصله وأساسه، فوا أسفاه على أوقات مضت في الغفلات، ووا حسرتاه على أزمان تَقَضَّت بغير الأعمال الصالحات، وواغوثاه من قلوب لم يُؤَثِّر فيها وعظ بارئها، ولم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها منها. فلك اللَّهُمَّ الحمد، وإليك المُشتكى، وبك المُستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك»[1].

٤٥- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ (الليل).

قال ابن القيم رحمه الله: «وذلك يتضمن تيسيره للخير وأسبابه، فيجري الخير ويُيسر على قلبه ويديه ولسانه وجوارحه، فتصير خصال الخير مُيسَّرة عليه مُذللة له مُنقادة، لا تستعصي عليه ولا تَسْتَصْعِب؛ لأنه مُهيأ لها، مُيسَّر لفعلها، يسلك سبلها ذُلُلًا، وتُقاد له علمًا وعملًا، فإذا خَالَلْتَه قلت هو الذي قيل فيه:

مُبارَكُ الطَّلْعَةِ ميمونها ... يصلح للدنيا وللدينِ»[2].

٤٦- قال تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ ﴾ (التكاثر).

قال ابن القيم رحمه الله: «وكل من كاثر إنسانًا في دنياه أو جاهه أو غير ذلك، شغلته مُكَاثَرته عن مُكَاثَرة أهل الآخرة. فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تُكاثر بما يدوم عليها نفعه، وتكمل به وتزكو، وتصير مُفْلِحة، فلا تُحب أن يكثرها غيرها في ذلك، ويُنافسها في هذه المُكاثرة، ويُسابقها إليها؛ فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد... وصاحب هذا التكاثر لا يهون عليه أن يرى غيره أفضل منه قولًا، وأحسن منه عملًا، وأغزر علمًا، وإذا رأى غيره أكثر منه

---

١) تفسير السعدي (ص ٨٩٤).

٢) التبيان في أقسام القرآن (ص ٦١-٦٢).

في خصلة من خصال الخير يعجز عن لحاقه فيها كاثَره بخصلة أخرى، وهو قادر على المُكاثرة بها، وليس هذا التكاثر مذمومًا ولا قادحًا في إخلاص العبد، بل هو حقيقة المنافسة، واستباق الخيرات»[1].

٤٧- قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ (الفلق).

قال أبو السعود ﷺ[2]: «الفَلَقُ: الصُّبْحُ كالفرقِ؛ لأنَّه يفلق عنه الليل ويفرق... وقيلَ: هُوَ ما انفلقَ منْ عمودِهِ...

وفي تعليق العياذ باسم الرب المُضَاف إلى الفَلَق المنبئ عن النور عَقِيب الظُّلْمة، والسَّعَة بعد الضيق، والفَتْق بعد الرَّتْق، عِدَةٌ كريمة بإعاذة العائذ مما يعوذ منه، وإنجائه منه، وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره، ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بِقَرْع باب الالتجاء إليه تعالى؛ ففيه إشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه»[3].

---

١) عدة الصابرين (ص ١٩٣- ١٩٤).

٢) هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى، أبو السعود، مُفَسِّر شاعر، من علماء الترك المُسْتَعْرِبين، وُلِد بقرب القسطنطينية، ودَرَس ودَرَّس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة، فالقسطنطينية، فالروم ايلي، وأُضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ وكان حاضر الذهن، سريع البديهة، توفي سنة: ٩٨٢هـ الكواكب السائرة (٣/ ٣١)، الأعلام للزركلي (٧/ ٥٩).

٣) تفسير أبي السعود (٩/ ٢١٤).

الثاني: التفسير الإشاري[1]:

قال ابن القيم ﷺ: «وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ؛ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى؛ وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس؛ وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم. وهذا لا بأس به بأربعة شرائط: ألا يُنَاقِض معنى الآية، وأن يكون معنى صحيحًا في نفسه، وأن يكون في اللفظ إشعار به، وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا»[2].

التطبيق:

١- قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ (البقرة).

---

١) والمشهور في تعريفه: أنه تأويل للقرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، وأنه يمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضًا. هكذا قالوا، والواقع أن هذا معناه عند المتصوفة، وإلا فهو نوع من التفسير بالاعتبار والقياس (من باب أن الشيء بالشيء يُذْكَر). وعامة ما يُذكر من هذا النوع لا يخلو من إشكال، وبعضه قَرْمَطَة وتحريف، لكن منه ما يصح إذا توفرت فيه تلك الشروط المذكورة أعلاه.

ثم لا يخفى أن ما يُذكر من هذا الطريق فأحسن أحواله -إن صح- أنه من باب المُلَح.

٢) التبيان في أقسام القرآن (ص٧٩)، وانظر: جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ٦٥)، مجموع الفتاوى (٢/ ٢٧- ٢٨)، (٦/ ٣٧٦- ٣٧٧)، (١٠/ ٧٨)، (١١/ ٤٢)، مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٢٩)، الموافقات (٤/ ٢٣١-٢٣٢، ٢٤٣-٢٤٤)، التفسير والمفسرون (٢/ ٢٦١)، مفهوم التفسير والتأويل للطيار (ص٨٩-١٠٧)، مناهل العرفان (٢/ ٧٨- ٨١).

المعنى الظاهر:

«يسألك أصحابك -أيها النبي- عن الأهلة وتغيُّر أحوالها، قل لهم: جعل اللهُ الأهلة علامات يعرف بها الناس أوقات عباداتهم المُحَدَّدة بوقت مثل الصيام والحج، ومعاملاتهم، وليس الخير ما تعودتم عليه في الجاهلية وأول الإسلام من دخول البيوت من ظهورها حين تُحْرِمون بالحج أو العمرة، ظانين أن ذلك قُربة إلى الله، ولكن الخير هو فِعْلُ مَنِ اتقى الله واجتنب المعاصي، وادخلوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم بالحج أو العمرة، واخشوا الله تعالى في كل أموركم؛ لتفوزوا بكل ما تحبون من خيري الدنيا والآخرة»[1].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال السعدي ﷺ: «ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جُعِل له مُوصلًا، فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور ويستعمل معه الرفق والسياسة التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمُتعلم والمُعَلِّم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمرًا من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود»[2].

٢- قال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥ ﴾ (النساء).

---

١) التفسير الميسر (ص ٢٩).

٢) تفسير السعدي (ص ٨٨).

المعنى الظاهر:

«ولا تؤتوا -أيها الأولياء- من يُبَذِّر من الرجال والنساء والصبيان أموالهم التي تحت أيديكم فيضعونها في غير وجهها، فهذه الأموال هي التي عليها قيام حياة الناس، وأَنْفِقُوا عليهم منها واكسوهم، وقولوا لهم قولًا معروفًا من الكلام الطَّيِّب والخُلُق الحسن»[1].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال الغزالي ﷺ: «تنبيهًا على أن حفظ العلم ممن يُفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق»[2].

٣- قال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأعراف).

المعنى الظاهر:

«قال الله لإبليس: فاهبط من الجنة، فما يصح لك أن تتكبر فيها، فاخرج من الجنة، إنك من الذليلين الحقيرين»[3].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن عاشور ﷺ: «هذه الآية أصل في ثبوت الحق لأهل المَحَلَّة، أن يُخرِجوا من مَحَلَّتِهم من يُخشى من سيرته فُشُو الفساد بينهم»[4].

---

١) التفسير الميسر (ص٧٧).

٢) الإحياء (١/٥٨).

٣) التفسير الميسر (ص ١٥٢).

٤) التحرير والتنوير (٨/٤٤).

٤- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال:٣٣).

المعنى الظاهر:

«وما كان الله ﷻ ليعذِّب هؤلاء المشركين، وأنت -أيها الرسول- بين ظهرانَيْهم، وما كان الله معذِّبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم»[١].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن القيم ﷺ: «**فأشارت** هذه الآية أن محبة الرسول وحقيقة ما جاء به إذا كان في القلب، فإن الله لا يعذبه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإذا كان وجود الرسول في القلب مانعًا من تعذيبه، فكيف بوجود الرب تعالى في القلب؟ **فهاتان إشارتان**»[٢].

وقال في موضع آخر: «وتأمل... كيف يُفهم منه أنه إذا كان وجود بدنه وذاته فيهم دفع عنهم العذاب وهم أعداؤه، فكيف وجود سرِّه والإيمان به ومحبَّته ووجود ما جاء بِهِ إذا كان في قوم أو كان في شخص، أفليس دفعه العذاب عنهم بطريق الأولى والأحرى؟»[٣].

٥- قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (التوبة).

---

١) التفسير الميسر (ص ١٨٠).

٢) الكلام على مسألة السماع (ص٣٩٧).

٣) إعلام الموقعين (١/١٧٣).

المعنى الظاهر:

مِن سنة الله الابتلاء، فلا تظنوا يا معشر المؤمنين أن يَتْرُكَكُم الله دون اختبار؛ ليعلم الله عِلْمًا ظاهرًا للخَلْق الذين أخلصوا في جهادهم، ولم يتخذوا غير الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء، والله خبير بجميع أعمالكم، ومجازيكم بها[1].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن القيم ﷺ: «ولا وَلِيجَة أعظم ممن جعل رجلًا بعينه مُختارًا على كلام الله ورسوله ﷺ وكلام سائر الأمة يُقَدِّمه على ذلك كله، ويَعْرِض كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة على قوله، فما وافقه منها قبله لموافقته لقلبه، وما خالفه منها تلطف في رده وتَطَلَّبَ له وجوه الحيل، فإن لم تكن هذه وَلِيْجَة فلا ندري ما الوَلِيْجَة»[2].

٧- قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (التوبة).

المعنى الظاهر:

«يا معشر أصحاب رسول الله ﷺ إلا تنفروا معه أيها المؤمنون إذا استَنْفَركم، وإلا تنصروه؛ فقد أيده الله ونصره يوم أخرجه الكفار من قريش من بَلَدِه (مكة)، وهو ثاني اثنين (هو وأبو بكر الصديق ﷺ) وألجؤوهما إلى نقب في جبل ثور

---

١) التفسير الميسر (ص١٨٩).

٢) إعلام الموقعين (٢/ ١٣٠).

بـ«مكة»، فمكثا فيه ثلاث ليال، إذ يقول لصاحبه (أبي بكر) لما رأى منه الخوف عليه: لا تحزن إن الله معنا بنصره وتأييده، فأنزل الله الطمأنينة في قلب رسول الله ﷺ، وأعانه بجنود لم يرها أحد من البشر وهم الملائكة، فأنجاه الله من عدوه وأذل الله أعداءه، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمةُ الله هي العليا؛ وذلك بإعلاء شأن الإسلام، والله عزيز في ذاته وصفاته و ملكه، حكيم في تدبير شؤون عباده. وفي هذه الآية مَنْقَبة عظيمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه»[١].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «كل من وافق الرسول ﷺ في أمر خالف فيه غيره فهو من الذين اتبعوه في ذلك؛ وله نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠)، فإن المعية الإلهية المُتَضَمِّنة للنصر هي لِمَا جاء به إلى يوم القيامة، وهذا قد دلّ عليه القرآن، وقد رأينا من ذلك وجَرَّبْنا ما يطول وصفه»[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: «فَمِن أصح الإشارات إشارة هذه الآية، وهي أن من صحب الرسول ﷺ وما جاء به بقلبه وعمله وإن لم يصحبه ببدنه، فإن الله معه»[٣].

٦- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ (التوبة).

---

١) التفسير الميسر (ص١٩٣).

٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٣٧).

٣) الكلام على مسألة السماع (ص٣٩٧).

المعنى الظاهر:

«يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وانقادت قلوبهم وأذعنت، وأقروا بألسنتهم، وعملوا بشرعه، ابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى دار الإسلام من الكفار، وليجد الكفار فيكم غِلْظة وشدة، واعلموا أن الله مع المتقين بتأييده ونصره»[1].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن القيم ﷺ: «الدنيا والشيطان عدوان خارجان عنك، والنفس عدو بين جنبيك؛ مِن سُنّة الجهاد: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم ﴿١٢٣﴾ ﴾ (التوبة)»[2].

٨- قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ (الرعد).

المعنى الظاهر:

«لله تعالى ملائكة يتعاقبون على الإنسان من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه بأمر الله ويُحْصُون ما يصدر عنه من خير أو شر؛ إن الله ﷺ لا يغيِّر نعمة أنعمها على قوم إلا إذا غيَّروا ما أمرهم به فعصوه، وإذا أراد الله بجماعةٍ بلاءً، فلا مفرَّ منه، وليس لهم مِن دون الله مِن وال يتولى أمورهم، فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه»[3].

---

١) التفسير الميسر (ص ٢٠٧).

٢) بدائع الفوائد (ص ٢٢٥).

٣) التفسير الميسر (ص٢٥٠).

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن القيم ﵀: «فدلالة لفظها: أنه لا يغيِّر نِعَمه التي أنعم بها على عباده حتى يُغيِّروا طاعته بمعصيته، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الأنفال).

وإشارتها: أنه إذا عاقب قومًا وابتلاهم لم يغيِّر ما بهم من العقوبة والبلاء حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم من المعصية إلى الطاعة، كما قال العباس عمُّ رسول الله ﷺ: ما نزلَ بلاءٌ إلا بذنب، ولا رُفِع إلا بتوبة[1].

ومنه قول النبي ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**»[2] فإذا مَنع الكلب والصورة دخول الملك إلى البيت، فكيف تدخل معرفة الرب ومحبته في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصُوَرها؟

وكذلك قوله ﷺ: «**لا أُحِلُّ المسجدَ لحائضٍ ولا جُنُبٍ**»[3]؛ فإذا حرم بيت الرب على الحائض والجنب، فكيف بمعرفته ومحبته والتنعم بذِكْرِه على حائض القلب وجُنُبه؟

فهذه إشارات صحيحة، وهي من جنس مقاييس الفقهاء، بل أصح من كثير منها»[4].

---

١) أخرجه الدينوري في المجالسة (٣/ ١٠٢)، وابن عساكر في التاريخ (٢٦/ ٣٥٩) بإسناد واه.

٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٢)، ومسلم (٢١٠٦).

٣) أخرجه أبو داود (٢٣٢)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (١٢٤).

٤) الكلام على مسألة السماع (ص ٣٩٧-٣٩٨).

٩- قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء).

المعنى الظاهر:

«وكُنْ لأمك وأبيك ذليلًا متواضعًا رحمة بهما، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياءً وأمواتًا، كما صبرا على تربيتك طفلًا ضعيف الحول والقوة»[١].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال السعدي ﷺ: «وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة -غير الأبوين-، فإن له على من ربَّاه حقَّ التربية»[٢].

١٠- قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأنبياء).

المعنى الظاهر:

«لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله ﷻ تُدَبِّر شؤونهما، لاختلَّ نظامهما، فتنزَّه الله رب العرش، وتقدَّس عَمَّا يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص»[٣].

---

١) التفسير الميسر (ص٢٨٤).

٢) تفسير السعدي (ص ٤٥٦).

٣) التفسير الميسر (ص ٣٢٣).

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن القيم رحمه الله: «كما أن السموات والأرض لو كان فيهما آلهة غيره سبحانه لفسدتا؛ كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء:٢٢)، فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى فسد فسادًا لا يُرجى صلاحه؛ إلا بأن يخرج ذلك المعبود من قلبه، ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه، ويتوكل عليه وينيب إليه»[1].

١١- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (القصص).

المعنى الظاهر:

«ولما قصد موسى بلاد (مَدْيَن) وخرج من سلطان فرعون قال: عسى ربي أن يرشدني خير طريق إلى (مَدْيَن)»[2].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال السعدي رحمه الله: «إن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد بقلبه الحق ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب مَنْ هذه حاله»[3].

١٢- قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الروم).

١) إغاثة اللهفان (٣٠/١).

٢) التفسير الميسر (ص ٣٨٨).

٣) تفسير السعدي (ص ٦١٨).

المعنى الظاهر:

«فانظر -أيها المُشاهِد- نَظَر تَأَمُّل وتَدَبُّر إلى آثار المطر في النبات والزروع والشجر، كيف يُحيي به الله الأرض بعد موتها، فينبتها ويُعْشِبُها؟ إن الذي قَدَر على إحياء هذه الأرض لمُحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير لا يُعْجِزُه شيء»[1].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال السعدي ﷺ: «فإذا كانت الأرض الخاشعة الخالية من كل نَبْت إذا أنزل الله عليها المطر اهتزت ورَبَت وأنبتت من كل زوج بهيج، واختلط نَبْتُها وكثرت أصنافه ومنافعه جعله الله تعالى من أعظم الأدلة الدالة على سعة رحمته وكمال قدرته، وأنه سَيُحْيي الموتى للجزاء؛ فالدليل في القلب الخالي من العلم والخير حين يُنزل الله عليه غيث الوحي فيهتز بالنبات ويُنبت من كل زوج بهيج من العلوم المختلفة النافعة، والمعارف الواسعة، والخير الكثير، والبِرّ الواسع، والإحسان الغزير، والمحبة لله ورسوله، وإخلاص الأعمال الظاهرة والباطنة لله وحده لا شريك له، والخوف والرجاء والتضرع والخشوع لله، وأنواع العبادات، وأصناف التقربات، والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وغير ذلك من العلوم والأعمال الظاهرة والباطنة، والفتوحات الربانية مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ أعظم من الأرض بكثير على سعة رحمة الله، وواسع جُودِه، وتَنَوّع هِبَاته، وكمال اقتداره وعزته، وأنه يحيي الموتى للجزاء، وأن عنده في الدار الأخرى من الخيرات والفضل ما لا يعلمه أحد غيره»[2].

---

١) التفسير الميسر (ص٤٠٩).

٢) المواهب الربانية (ص ٩٣)، وقد سبق في (ص ٥٢).

١٣- قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (يس: ١٢).

المعنى الظاهر:

«إنا نحن نحيي الأموات جميعًا ببعثهم يوم القيامة»[١].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن كثير ﵀: «أي: يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق، كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحديد)»[٢].

١٤- قال تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ (الواقعة: ٧٣).

المعنى الظاهر:

«نحن جعلنا ناركم التي توقدون تذكيرًا لكم بنار جهنم ومنفعة للمسافرين»[٣].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال ابن القيم ﵀: «تذكرة تُذْكَر بها الآخرة، ومنفعة للنازلين بالقَواءِ وهم المسافرون؛ يقال: أقوى الرجل: إذا نزل بالقِيِّ والقَوَى وهي الأرض الخالية، وخص المُقْوِين بالذِّكْر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين؛ تنبيهًا لعباده -والله

---

١) التفسير الميسر (ص٤٤٠).

٢) تفسير ابن كثير (١١/٥٦٥).

٣) التفسير الميسر (ص٥٣٦).

أعلم بمراده من كلامه- على أنهم كلهم مسافرون، وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين»[١].

١٥- قال تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الواقعة).

المعنى الظاهر:

«لا يَمَسُّ القرآن إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب»[٢].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال شيخ الإسلام ﵀: «كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة، وهي قلوب المتقين»[٣].

قال ابن القيم ﵀: «ودلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرام على القلب المُتَلَوِّث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه وأن يفهمه كما ينبغي.

قال البخاري في «صحيحه» في هذه الآية: «لا يجد طعمه إلا من آمن به»[٤]، وهذا أيضًا من إشارة الآية وتنبيهها، وهو أنه لا يلتذ به وبقراءته وفهمه وتدبره

---

١) طريق الهجرتين (ص ١٤١- ١٤٢)، وقد مضى تحت عنوان: (العموم والخصوص).

٢) التفسير الميسر (ص ٥٣٧).

٣) مجموع الفتاوى (١٣/٢٤٢).

٤) انظر: صحيح البخاري (٩/ ١٥٥).

إلا من شهد أنه كلام الله، تكلم (به)[1] حقًّا، وأنزله على رسوله وحيًا، ولا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه، فمن لم يؤمن بأنه حق من عند الله، ففي قلبه منه حرج، ومن لم يؤمن بأن الله سبحانه تكلم به وحيًا وليس مخلوقًا من جملة مخلوقاته، ففي قلبه منه حرج، ومن قال: إن له باطنًا يخالف ظاهره، وإن له تأويلًا يُخالِف ما يُفْهَم منه ففي قلبه منه حرج، ومن قال: إن له تأويلًا لا نفهمه ولا نعلمه وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه ففي قلبه منه حرج.

وأنت إذا تأملت قوله: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾، وأعطيت الآية حقها من دلالة اللفظ وإيمائه وإشارته وتنبيهه وقياس الشيء على نظيره واعتباره بِمُشاكِله وتأملت المشابهة التي عقدها الله سبحانه وربطها بين الظاهر والباطن- فهمت هذه المعاني كلها من الآية وبالله التوفيق»[2].

وقال في موضع آخر: «وأنت إذا تأمَّلت قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الواقعة)، وجدت الآية من أظهر الأدلة علَى نبوة النبي ﷺ، وأنَّ هذا القرآن جاء من عند الله، وأنَّ الذي جاء به رُوح مُطهَّر، فما للأرواح الخبيثة عليه سبيل؛ ووجدت الآية أُختَ قوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ (الشعراء)، ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾ (الشعراء)، ووجدتها دالة بأحسن الدَّلالَة على أنَّه لا يَمس المصحف إلا طاهر، ووجدتها دالة أيضًا بِألطف الدَّلالَة على أنَّه لا يجد حلاوته وطعمه إلا من آمن به وعمل به، كما

---

١) في الأصل: (بها).

٢) التبيان في أقسام القرآن (١/٢٣٠- ٢٣١).

فَهمه البخاري من الآية فقال في صحيحه في باب: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (آل عمران): ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ ﴾ لا يَجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالْقرآن، ولا يحمله بحقه إلا المْؤمن؛ لقوله تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ (الجمعة: ٥)، وتجد تحته أيضًا أَنَّه لا ينال معانيَه ويفهمُهُ كما ينبغي إلا القلوب الطاهرة، وأنَّ القلوب النجسة ممنوعة من فهمه مصروفة عنه، فتأمَّل هذا النَّسَب القريب وعَقْد هذه الأُخُوَّة بين هذه المعاني وبين المعنى الظاهر من الآية واستنباط هذه المعاني كلها من الآية بِأحسنِ وجهٍ وأبينِهِ، فهذا من الفهم الذي أشار إليه علي ﷺ[1]».

وقال: «فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: لكن تَدل الآية بإشارتها على أنَّه لا يَمس المصحف إلا طاهر؛ لأنَّه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المُطهَّرون، لِكرامتها على الله، فهذه الصحف أولى ألَّا يمسها إلا طاهر»[2].

وقال أيضًا ﷺ: «فحقيقة هذا أنه لا يمس محله إلا المُطَهَّر، وإشارته أنه لا يجد حلاوته ويذوق طعمه ويباشر حقائق قلبه إلا القلب المُطَهَّر من الأنجاس والأدناس، وإلى هذا المعنى أشار البخاري في صحيحه؛ فهذه من أصح الإشارات»[3].

---

١) إعلام الموقعين (١/١٧٢، ١٧٣).

٢) مدارج السالكين (٢/٣٩١).

٣) الكلام على مسألة السماع (ص ٣٩٦).

١٦- قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ (الكوثر).

المعنى الظاهر:

«إن مبغضك ومبغض ما جئت به من الهدى والنور، هو المُنْقَطِع أثره المقطوع من كل خير»[1].

ما يؤخذ من إشارة الآية:

قال شيخ الإسلام ﷺ: «فمن شَنَأ شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، فله من ذلك نصيب؛ ولهذا قال أبو بكر بن عَيَّاش:... أهل السنة يبقون ويبقى ذِكْرُهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذِكْرُهم.

وذلك أن أهل البدعة شَنَؤُوا بعض ما جاء به الرسول ﷺ، فأبترهم بقدر ذلك، والذين أعلنوا ما جاء به النبي ﷺ، فصار لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤)، فإن ما أكرم الله به نبيه من سعادة الدنيا والآخرة، فللمؤمنين المُتابعين نصيب بقدر إيمانهم، فما كان من خصائص النبوة والرسالة، فلم يشارك فيه أحد من أمته، وما كان من ثواب الإيمان والأعمال الصالحة، فلكل مؤمن نصيب بقدر ذلك»[2] ا.هـ

وقال: «أهل السنة يموتون ويحيا ذِكْرُهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول ﷺ؛ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤)، وأهل البدعة شَنَؤُوا ما جاء به الرسول ﷺ؛ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣)»[3].

---

١) التفسير الميسر (ص٦٠٢).

٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٣٨).

٣) السابق (١٦/٥٢٨).

الباب السادس

التدبُّر العملي

التدبر العمليُّ نوعان:

الأول: التطبيق والعمل والامتثال[1]

التطبيق:

١- من مفاتيح الرزق (تدبر عملي):

قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (طه: ١٣٢).

قال ابن جُزَي ﷺ: «كان بعض السلف إذا أصاب أهلَه خصاصة، قال: قوموا فصَلُّوا؛ بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية»[2].

٢- قال عبد الله بن إبراهيم الإسكافي[3] ﷺ: «حضرت مجلس المُهتدي[4] وقد جلس للمظالم، فاستعداه رجل على ابن له، فأمر بإحضاره، فأُحضر وأقامه إلى جنب الرجل، فسأله عما ادعاه عليه، فأقر به، فأمره بالخروج له من حقه، فكتب له بذلك كتابًا، فلما فرغ، قال له الرجل: والله يا أمير المؤمنين ما أنت إلا كما قال الشاعر:

حَكَّمْتُمـوه فقضـى بينكـمْ ... أبلـجُ مِثْـلُ القمـرِ الزاهـرِ

لا يقبـلُ الرشـوة في حُكمـه ... ولا يبـالي غَـبَنَ الخـاسـرِ[5]

---

١) وهذا باعتبار أن بعض السلف قد فسَّر التدبُّر بالعمل؛ وهو تفسير له بثمرته.

٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١٧/٢).

٣) لعله عُبَيْد الله بن إبراهيم بن عَبْد المؤمن الإسكافي، عم الوزير: محمد بن أحمد بن إبراهيم القراريطي. انظر: ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (٣/٢).

٤) محمد بن هارون الواثق بن محمد المُعْتَصِم بن هارون الرشيد، أبو عبد الله، المهتدي بالله، العباسي، من خلفاء الدولة العباسية، توفي سنة: ٢٥٦ هـ انظر: الوافي بالوفيات (٥/ ٩٧- ٨٧)، والأعلام للزركلي (٧/ ١٢٨).

٥) البيت للأعشى، وهو في ديوانه (ص٩٢).

فقال له المُهْتَدي: أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقالتك، وأما أنا فما جلست هذا المجلس حتى قرأت المصحف: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، فقال لي عمي: فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم»[١].

٣- قال ابن مفلح ﷺ: «قَارِن بين تَأَدّب السلف بهدي القرآن وبين فعل بعض الناس مع علمائهم؛ قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: ما استأذنت قط على مُحدِّث! كنت أنتظر حتى يخرج إليّ، وتأولت قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (الحجرات: ٥)»[٢].

٤- قال أحدهم: كان لي موعد بعد صلاة العشاء مع معصية، وفي صلاة العشاء قرأ الإمام قولَه تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم: ٣٤)، فتذكرت ما أنا فيه من الخير والنعيم.. واستحييت، فأحمد الله على التوبة[٣].

٥- قال أحدهم: أنا طالب علم، وذات مرة توقَّفْتُ عند قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٩)، فبكيت كثيرًا على ضياع ليالٍ كثيرة في هذه الليالي الشاتية الطويلة، وأنا لم أشرّف نفسي بالانتصاب قائمًا لربي ولو لدقائق، فكان هذا البكاء مفتاحًا لبداية أرجو ألا تتوقف حتى ألقى ربي[٤].

---

١) تاريخ بغداد (٥٥٣/٤).

٢) الآداب الشرعية (٧/٢).

٣) ليدبروا آياته (٢٠٣/٤).

٤) السابق (٢١٦/٤).

٦- قال يونس المكي ﷺ: «زرع رجل من أهل الطائف زرعًا، فلما بلغ أَصَابَتْه آفة فاحترق، فدخلنا عليه نُواسيه عنه فبكى، وقال: والله ما عليه أبكي، ولكني سمعت الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ (آل عمران: ١١٧)، فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة، فذلك الذي أبكاني»[1].

٧- كان أويس إذا نظرَ إلى الرؤوسِ المشويةِ يذكرُ هذه الآية: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾، فيقعُ مغشيًّا عليه؛ حتى يظنَّ الناظرون إليه أنه مجنونٌ[2].

٨- وكانَ لطاوس طريقانِ إذا رجعَ من المسجدِ أحدُهُما فيها روَّاس، وكان يرجعُ إذا صلَّى المغربَ، فإذا أخذَ الطريقَ الذي فيه الروَّاس لم يستطعْ أن يتعشى، فقيلَ لهُ: فقالَ: إذا رأيتُ الرؤوسَ كالحةً، لم أستطعْ آكلُ[3].

٩- وقال الأصمعيُّ: حدثنا الصقرُ بنُ حبيب[4] قالَ: مرَّ ابنُ سيرين بروَّاسٍ قد أخرجَ رأسًا، فغشي عليه[5].

---

١) الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا (ص ٥٠).

٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٤/ ٢٥)، التخويف من النار لابن رجب (ص١٧٢).

٣) التخويف من النار لابن رجب (ص ١٧١- ١٧٢).

٤) الصقر -وقيل الصَّعق- بن حبيب، السلولي البصري، شيخ من أهل البصرة. انظر: المجروحين لابن حبان (٣٧٥/١).

٥) التخويف من النار لابن رجب (ص١٧٢).

١٠- عن عبد الله بن عمر أنه شرب ماء باردًا، فبكى واشتد بكاؤه، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله وهي قوله: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (سبأ: ٥٤)، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئًا، شهوتهم الماء البارد، وقد قال الله تعالى: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ (الأعراف: ٥٠)[1].

١١- وأُتي الحسن بكوز من الماء؛ ليفطر عليه، فلما أدناه إلى فيه بكى، وقال: ذَكَرتُ أُمنية أهل النار وقولهم: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ (الأعراف: ٥٠)، وذكرت ما أُجيبوا به: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الأعراف)[2].

١٢- وعن إبراهيم النخعي قال: قَلّما قرأتُ هَذِهِ الآية إلا ذكرتُ بَرْدَ الشَّرَابِ، وقرأ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (سبأ: ٥٤)[3].

١٣- عن عبد الملك بن مروان، أنه شرب ماءً باردًا، فقطعه وبكى، فقيل: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟! قال: ذكرت العطش يوم القيامة، وذكرت أهل النار وما مُنِعوا من ماء بارد الشراب، ثم قرأ: ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ (إبراهيم: ١٧)[4].

---

١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٣/ ٢١١)، التخويف من النار لابن رجب (ص١٥٨)، وبنحوه في التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٥٢-٥٣).

٢) التخويف من النار لابن رجب (ص١٥٨)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ١٨٩).

٣) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٠٨).

٤) التخويف من النار لابن رجب (ص ١٥٨).

١٤- استقى محمد بن مصعب العابد[1] ماء، فسمع صوت البرادة فصاح، وقال لنفسه: من أين لك في النار برادة؟! ثم قرأ: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾ (الكهف: ٢٩)[2].

١٥- أُتي عبد الرحمن بن عوف ﷺ بعشائه وهو صائم، فقرأ: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾ (المزمل)، فلم يزل يبكي حتى رُفِع طعامه، وما تعشى، وإنه لصائم[3].

١٦- أمسى الحسن صائمًا فأُتي بعشائه، فَعَرَضَت له هذه الآية: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾ فَقَلَصت يَدُه، وقال: ارفعوه، فأصبح صائمًا، فلما أمسى، أُتي بإفطاره، فَعَرَضَتْ له الآية، فقيل له: يا أبا سعيد، تهلك وتضعف! ! فأصبح اليوم الثالث صائمًا، فذهب ابنه إلى يحي البَكَّاء وثابت البُنَاني ويزيد الضَّبي، فقال: أَدْرِكُوا أبي، فإنه هالك، فلم يزالوا به، حتى سقوه شربة ماء من سويق[4].

---

١) هو: محمد بن مصعب أبو جعفر الدَّعَّاء، العابد، وكان أحمد بن حنبل يثني عليه ويقول: كان رجلا صالحًا. توفي ببغداد في ذي القعدة سنة: ٢٢٨هـ انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٠).

٢) التخويف من النار لابن رجب (ص ١٥٩).

٣) السابق (ص ١٥٥).

٤) رواه أحمد في الزهد (١٦٤٠). وانظر: التخويف من النار لابن رجب (ص١٥٦).

١٧- عن صالح المُرّي[1] قال: كان عطاء السَّلِيمِي[2]، قد أضر بنفسه حتى ضعف، فقلت له: إنك قد أضررت بنفسك، وأنا متكلف لك بشيء، فلا ترد كرامتي، قال: أَفْعَل، قال: فاشتريت سويقًا، من أجود ما وجدت، وسمنًا، قال: فجعلت له شُرَيبة، فَلَتَّيْتُها وحَلَّيْتُها، وأرسلت بها مع ابني وكُوزًا من ماء، فقلت له: لا تبرح حتى يشربها، فرجع فقال: قد شربها، فلما كان من الغد، جعلت له نحوها، ثم سَرَّحْتُ بها مع ابني، فرجع بها لم يشربها، قال: فأُتيته فَلُمْتُه، وقلت: سبحان الله! أَرَدَدْتَّ علي كرامتي؟! إن هذا مما يُعينك ويقويك على الصلاة، وعلى ذِكْر الله تعالى، فلما رآني قد وجدت من ذلك، قال: يا أبا بشر، لا يَسُؤك، والله لقد شَرِبْتُها أول ما بعثت بها، فلما كان الغد راودتُّ نفسي على أن أسيغها، فما قدرت على ذلك، إذا أردت شربه ذكرت هذه الآية: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (إبراهيم).

فبكى صالح عند هذا، وقال: قلت لنفسي: ألا أراني في واد وأنت في آخر![3][4].

١٨- وآخر بكى في وليمة رأى فيها الخدم يطوفون على الحضور بالطعام والشراب، وتذكر قوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ (الإنسان: ١٩).

---

١) هو: صالح بن بشير بن وادع بن أبي الأقعس أبو بشر البصري، القاص الواعظ الزاهد، المعروف بالمُرّي، ضعيف الحديث، توفي سنة: ١٧٢هـ وقيل: ١٧٦هـ انظر: صفة الصفوة (٢/ ٢٠٧).

٢) هو: عطاء السَّليمي البصري، العابد الزاهد، من صغار التابعين، توفي سنة: ١٤٠هـ انظر: صفة الصفوة (٢/ ١٩٢).

٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢١٨)، وانظر: التخويف من النار لابن رجب (ص ١٥٦، ١٥٧).

٤) للاستزادة من هذه الأمثلة؛ راجع: التخويف من النار لابن رجب (ص١٥٥ - ١٥٩).

الثاني: النظر في الكون والآيات المشهودة:

التطبيق:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ (الغاشية).

كان شريح القاضي يقول: «اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت؟»[1].

ومما يدخل في ذلك: هذه النماذج والأمثلة:

١- مراحل تكوين الجنين في بطن أمه (فيديو):

http://www.youtube.com/watch?v=EJKcwR٢kWeE



٢- إعصار فيه نار:

http://www.youtube.com/watch?v=_7JD93jxe- Y



١) تفسير ابن كثير (٣٨٧/٨).

٣- فَقْسُ بيضة:

http://youtu.be/pm7qUFkFqso



٤- تعاقب الليل والنهار:

http://youtu.be/xIz_XB-7DdY



٥- دورة الحياة:

http://youtu.be/K3T9Z29OhWs



تنبيهان

١- ما ذُكر إنما هو للتقريب وليس للحصر، وباب التدبر واسع كما لا يخفى.

٢- ليس المقصود مما ذكرنا سابقًا دراسة هذه الدلالات ونحوها دراسة أصولية أو لغوية، وإنما التطبيق المتفرع عنها من غير مراعاة لترتيب.

الخاتمة

تبين من خلال هذا الكتاب:

١- معرفة قدر صالح من أنواع الدلالة، وقواعد التفسير، والقواعد القرآنية، وغير ذلك من الأُسُس والأصول التي يُتوصل بها إلى استخراج المعاني والهدايات من القرآن الكريم.

٢- عرض نماذج متميزة من الوقفات التدبرية.

٣- الربط بين النماذج التطبيقية وطُرق الدلالة المتنوعة.

٤- ظهر من خلال ما ذكرنا في هذا الكتاب ما يتطلب آلة لاستخراج المعاني التدبرية، وما لا يتوقف على شيء من ذلك، وبهذا نتبين التفصيل في هذه الجزئية، بأن من التدبر ما يكون الوصول إليه بسلوك الطرق المعروفة في الاستدلال، ومعرفة الأصول التي تُستخرج بها المعاني والهدايات، ومنه ما ليس كذلك.

قائمة المراجع والمصادر



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة